مجلة إسلامية. ثقافية. شهرية
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية

التوحيد

السنة الثانية والثلاثون. العدد العاشر. شوال ١٤٢٢ هـ. الثمن ١ جنيه

التصدق بفوائد البنوك

نهاية رمضان بين تفجير وتدبير

- هدي النبي ﷺ للمحبين بعد رمضان
- سفر المرأة للحج بدون محرم

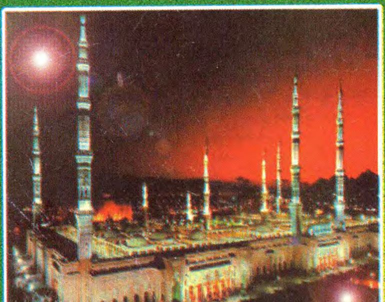

- الوصية وتقسيم التركة في حياة المورث
- مصير الشبكة عند فسخ الخطبة

بسم الله الرحمن الرحيم

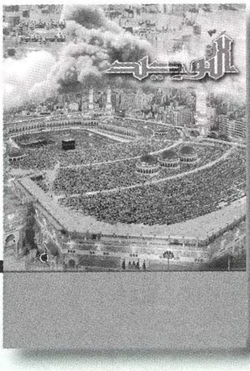

صورة الغلاف

التوحيد

• صاحبة الامتياز •

جماعة أنصار السنة المحمدية

المشرف العام

د. جمال المراكبي

اللجنة العلمية

زكريا حسيني

جمال عبد الرحمن

مجدي عرفات

التنفيذ والطباعة

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

السلام عليكم

التواضع ولين الجانب

قال تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر:٨٨]، وقال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص:٨٣]، وقال رسول الله ﷺ: «أفضل العبادة التواضع» وقال ﷺ «لا ترفعوني فوق قدري فتقولوا فيَّ ما قالت النصارى في المسيح فإن الله عز وجل اتخذني عبدًا قبل أن يتخذني رسولا وأتاه ﷺ رجلٌ فكلمه فأخذته رعدة فقال ﷺ: «هون عليك فإني لست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد»، وكان ﷺ يَرْقَعُ ثوبه، ويَخْصِفُ نعله ويكون في مهنة أهله، ولم يكن متكبرًا ولا متجبرًا، وأشد الناس حياءً، وأكثرهم تواضعًا، وكان إذا حدَّث بشيء مما آتاه الله تعالى قال: «ولا فخر»، وقال ﷺ: «إن العفو لا يزيد العبد إلا عزًا فاعفوا يعزكم الله، وإن التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة، فتواضعوا يرفعكم الله، وإن الصدقة لا تزيد المال إلا نماءً فتصدقوا يزدكم الله».

رئيس التحرير

التحرير / ٨ شارع قوله - عابدين القاهرة ت: ٢٣٩٣٦٥١٧

المركز العام: القاهرة - ٨ شارع قوله - عابدين

رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني

حسين عطا القراط

التوزيع الداخلي: مؤسسة الأهرام وفروع أنصار السنة المحمدية

في هذا العدد

الافتتاحية: رحيل الشهر الكريم	د. جمال المراكبي	٢
كلمة التحرير:	رئيس التحرير	٥
باب التفسير: الحمد لله على الإكمال	د. عبد العظيم بدوي	٩
باب السنة: الوصية وتقسيم التركة في حياة المورث	زكريا حسيني	١٣
منبر الحرمين: الإحسان بعد شهر القرآن	عبد المحسن القاسم	١٨
مختارات من علوم القرآن: نسخ القرآن	مصطفى البصراتي	٢١
الإعلام بسير الأعلام: فقيه العراق إبراهيم النخعي	مجدي عرفات	٢٥
كيف نفهم العقيدة: الحلقة الثانية	د. محمود عبد الرازق	٢٧
علاج النبي ﷺ للمحبين بعد رمضان	متولي البراجيلي	٢٩
الصيام بعد رمضان	أحمد يوسف	٣٢
هل تريد حفظ القرآن		٣٣
أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه	حسن البنا	٣٤
واحة التوحيد		٣٦
من روائع الماضي: توحيد الله عز وجل	د. محمد خليل هراس رحمه الله	٣٨
دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب	عبد الفتاح الفاوي	٤٠
وقفات مع القصة: قصة موسى والخضر عليهما السلام	عبد الرازق السيد عيد	٤٣
مفاهيم عقائدية: الإيمان بالملائكة	أسامة سليمان	٤٦
اقرأ من مكتبة المركز العام: الاعتقاد للإمام الطبري	علاء خضر	٤٨
أطفال المسلمين: الحلقة الثانية والعشرين	جمال عبد الرحمن	٥٠
بيان بإعجاز القرآن	لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي	٥٢
تحذير الداعية: قصة مفتراة على نبي الله يوسف عليه السلام	علي حشيش	٥٣
فتاوى ابن عثيمين		٥٧
فتاوى المركز العام		٥٩
من فتاوى دار الإفتاء المصرية		٦١
فتوى مهمة بشأن صفحات الإبراج بالمجلات والصحف	اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء	٦٣
التعليق بالمشيئة آداب وأحكام	أحمد السيد علي إبراهيم	٦٤
القول السديد: الحلقة الثانية	عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر	٦٧
اتبعوا ولا تبتدعوا: الحلقة الثالثة	معاوية محمد هيكل	٦٩

فاكس: ٣٩٣٠٦٦٢ قسم التوزيع والاشتراكات ت: ٣٩١٥٤٥٦

هاتف: ٣٩١٥٤٥٦ - ٣٩١٥٥٧٦

البريد الإلكتروني

المجلة: Mgtawheed@hotmail.com

رئيس التحرير: Gshatem@hotmail.com

التوزيع والاشتراكات: see@islamway.net

موقع المجلة على الإنترنت: www.altawhed.com

ثمن النسخة:

مصر جنيه واحد، السعودية ٦ ريالات، الإمارات ٦ دراهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الأردن ٥٠٠ فلس، العراق ٧٥٠ فلساً، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني.

الاشتراك السنوي:

١- في الداخل ١٥ جنيها (بحوالة بريدية داخلية باسم مجلة التوحيد ـ على مكتب بريد عابدين).

٢ـ في الخارج ٢٠ دولاراً أو ٧٥ ريالا سعوديا أو ما يعادلها.

ترسل القيمة بحوالة بنكية أو شيك. على بنك فيصل الاسلامي ـ فرع القاهرة ـ باسم مجلة التوحيد ـ انصار السنة (حساب رقم / ١٩١٥٩٠).

افتتاحية العدد

رحيل الشهر الكريم

بقلم
د. جمال المراكبي

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، ووفقنا للإيمان، وبلغنا رمضان، ووفقنا لصيامه وقيامه إيمانًا واحتسابًا: «من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه»، «من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه»، «من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه».

فرحة الصائم

لقد آن لنا أن نفرح بهذا الخير العميم، وقد انقضى وقت العبادة، وحان وقت الجزاء، «للصائم فرحتان؛ إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه». إنها إحدى الفرحتين قد حان وقتها فأعطانا الله يومًا نفرح فيه لمنته علينا أن هدانا للطاعة ثم قبلها منا وأثابنا عليها وختمها لنا بعيد يتجدد نفرح فيه ونسعد.

ونحن على موعد مع فرحة أعظم؛ إنها الفرحة الكبرى، يوم يرى الصائم صومه جُنة يحول بينه وبين نار جهنم: «من صام يومًا في سبيل الله باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفًا».

يوم يرى الصائم رائحة الخلوف وقد صارت أفضل وأطيب من رائحة المسك، يوم يرى الصائم العباد يجازيهم ربهم الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ثم يضاعف الجزاء للصائمين بغير حساب: «كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به».

ورحل رمضان

هذا هو رمضان قد رحل عنا، كنا بالأمس نترقب قدومه ونتأهب لاستقباله، فلما أقبل علينا محملاً بنفحات الرحمة سعدنا به ورجونا رحمة الله فيه وشعرنا بأبواب السماء تتفتح لقبول الدعاء من الصائمين والقائمين وأبواب الجنة تتفتح تنادي المؤمنين المتقين، فمن كان من أهل الصلاة نادى عليه باب الصلاة، ومن كان من أهل الصوم نادى عليه باب الريان، وأبواب النار تغلق، وشهوات النفس التي تَحَفّ بالنار تُكبح، ومردة الشياطين تسلسل وتصفد، ولكن سرعان ما رحل عنا رمضان يحمل في طياته صكوك المغفرة من الله لعباده المؤمنين الصائمين القائمين، فطوبى لعبد دخل في طاعة ذي الجلال والإكرام خوفًا وطمعًا فشملته الرحمة وأدركته المغفرة، وتعسًا لعبد أدرك رمضان فأعرض عن ربه وأقبل

على شهوات نفسه واتبع هواه فلم يغفر الله له: «بعد عن الله من أدرك رمضان ولم يُغفر له».

والمسلم الحق من تكون تقوى الله شعاره طوال حياته، والمؤمن الصادق الإيمان من يكون عمله بالطاعات واجتنابه للمعاصي والخطيّات دينًا له ومنهاجًا إلى أن يدركه الموت، فلا تزيده مواسم الخير إلا اجتهادًا في العبادة وحرصًا على الطاعة، فإذا انقضت هذه المواسم فإن آثارها تبقى متمثلة في حياته واقعًا ملموسًا، وعملاً مشاهدًا محسوسًا.

لقد مر بنا هذا الشهر المبارك سريعًا، مضى وهو شاهد لنا أو علينا بما أودعناه فيه، فهل تأسينا بالنبي ﷺ وبالسلف الصالح وهل أخذنا بأسباب القبول بعده واستمررنا على العمل الصالح، وهل أتبعنا الحسنة بالحسنة أم أتبعناها بالسيئة وكنا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثًا: ﴿وَلاَ تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ﴾ [النحل: ٩٢]، هل عزمنا على الاستقامة وعلى الطاعة والبعد عن المعصية؟

إن الإعراض عن الله وعن عبادته دليل على نقصان الإيمان وضعف العزيمة فيجب علينا أن نراقب الله وأن نستقيم إليه في جميع الأوقات وأن نتقرب إليه بالأعمال الصالحات، فرب رمضان هو رب جميع الشهور والأزمان.

سنة الرحيل

إن الرحيل سنة من سنن الله في كونه: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧]، تَصَرَّمت الأعوام عامًا بعد عام، والناس في غفلة ساهون، أمَا يشاهدون مواقع المنايا، في كل يوم يرحل عنهم بعض من كان بينهم يملأ الدنيا حياة ويؤمل فيها؟ فيا ليت شعري على أي شيء تطوى صحائف الأعمال أعلى أعمال صالحة وتوبة نصوح صادقة أم على تفريط في جنب الله تعالى؟

ماذا يقول رمضان عنا؟

لقد رحل رمضان وإن الله سائله عنا وهو أعلم، فماذا يقول؟ يقول: استقبلوني بالزينات والفوازير والمسلسلات والرقص والغناء، وما لذَّ وطاب من الطعام، وودعوني بالتواشيح والتواحيش، ولا أوحش الله منك يا شهر القرآن.

ومع هذا فأكثرهم لا يقرأ القرآن ولا يفهمه ولا يعمل به فمنهم من يصوم ولا يصلي، ومنهم من لا يصوم ولا يصلي، منهم من لا يعقل أركان الإسلام وأركان الإيمان، فهم في حاجة ماسة إلى جبريل ليسأل، وإلى محمد ﷺ ليجيب، فيتعلموا أمور دينهم من جديد، لم يعتصموا بحبل الله جميعًا، بل فرقت بينهم الحدود، تداعت عليهم أمم الأرض، يأخذون الثروات، ويدنسون المقدسات، ويدعونهم إلى الاستسلام تحت مسمى السلام.

تحققت فيهم نبوءة النبي ﷺ: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها». قالوا: أوَمِنْ قلة نحن يا رسول الله؟ قال: «بل أنتم يومئذ كثير، ولكن غثاء كغثاء السيل»، يتقاتلون على السلطة والمال، وقوى الشرك والطغيان تقتلهم وتستذلهم في

فلسطين والعراق.

المخرج من الفتن

إنها فتن عمت وطمت، فتن كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمنًا، ويمسي كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا، فالمخرج في الرجوع إلى الإيمان والتوحيد، وفي تقوى الله عز وجل والتوكل عليه: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (٤) ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾.

الالتجاء إلى الله عزوجل

النبي ﷺ يعلمنا أن الدعاء والالتجاء إلى الله والرجوع إليه هو أعظم مخرج من الفتن: «لا إله إلا الله ماذا أنزل الليلة من الفتن، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه- وحلق بأصبعيه السبابة والإبهام- من يوقظ صويحبات الحُجَر».

وماذا تفعل صويحبات الحجر لمنع الفتن، ولماذا يوقظهن النبي ﷺ؟

يوقظهن النبي ﷺ للصلاة بالليل والناس نيام وللدعاء والاستغفار: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (١٥٣) وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لاَ تَشْعُرُونَ (١٥٤) وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾.

ينبغي لنا أن نعاهد الله على أن نرجع إليه ونتوب من ذنوبنا. فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال وحوله عصابة من أصحابه: «بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئًا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له ومن أصاب من ذلك شيئًا ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه». فبايعناه على ذلك.

المسارعة إلى التوبة

علينا بكتاب الله وبسنة نبيه ﷺ: «إنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة».

فهذا كتاب الله محفوظ بحفظه له، وهذا هدي محمد ﷺ معروف، والله تعالى يوفق طائفة من الأمة للثبات على هذا المنهج لا تميل عنه، ليجعلهم قدوة للعباد وحجة عليهم فلنكن منهم ولا نكون عليهم، إنهم العلماء العاملون بالكتاب والسنة، ولنترك أهل البدع ودعاة الضلال ولا نغتر بهم: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك». متفق عليه.

والله من وراء القصد.

كلمة التحرير

بقلم

رئيس التحرير

نهاية رمضان بين تفجير وتدبير

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده... وبعد:

فقد حلَّ بنا شهر رمضان المبارك بخيراته ونفحاته، ثم انتهى وارتحل سريعًا شاهدًا عند ربه لمن عرف قدره واستفاد من خيره بالطاعة. وشاهدًا على من أضاعه وأساء فيه.

فما أسرع ما تنقضي الليالي والأيام، وما أعجل ما تتصرم الشهور والأعوام، وهذه سنة الله في الحياة، أيام تمرّ وأعوام تكرّ ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص:٨٨]، في تقلب الدهر عبر، وفي تغير الأحوال مذكر.

ورمضان مدرسة للأمة الإسلامية يجب ألا تخرج منها إلا بإصلاح للأوضاع، ومراجعة لمواطن الخلل في جميع أمورها. دينيًا ودنيويًا، فجدير بالأمة حكامًا ومحكومين وهم تحيط بهم الفتن وتتكاثر عليهم المحن، جدير بهم وأمتهم تعاني من جراحات كبرى، وتعيش مصائب عظمى. أن يجعلوا من هذا الشهر الكريم نقطة تحول من حياة الفرقة والاختلاف إلى الاجتماع والائتلاف ، جدير بهم وهم أتباع محمد ﷺ أن يتخذوا من هذا الشهر مرحلة تغيير جادة إلى موافقة المنهج الحق في جميع شئونهم على ضوء كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ.

ما أحوج الأمة في أيام محنتها وشدائدها، ومراحل ضعفها وذلّها إلى وقفات عندما تمر بها مناسبة كرمضان، لتستلهم العبر والعظات لتجدد العزم على المجاهدة الحقّة للشيطان، وتحقق المسيرة الصحيحة للسير على الصراط المستقيم ليعم بها التوجه إلى محاربة كل بغي وفساد بشتى صوره واختلاف أشكاله.

تفجيرات الرياض والأيادي الخفية

إن في استقبال رمضان وتوديعه فرصًا للتأمل، ووقفات للنظر فعسى الأمة الإسلامية أن تدرك وضعها وتسعى في الإصلاح وتقوى ما ضعف، وتعالج ما اختل، وما حدث بالأمس القريب وتناقلته وكالات الأنباء من تفجيرات لمجمع المحيا السكني بالرياض والذي أسفر عن مقتل وإصابة حوالي ٢٠٠ فرد من جنسيات مختلفة في الوقت الذي كانت المنطقة منشغلة فيه باتساع دائرة الدعم العالمي للشعب الفلسطيني وتوالي التأييد الدبلوماسي لاتفاق جنيف ومتابعة تداعيات نتائج استطلاع الرأي العام الأوروبي الذي رأى أن إسرائيل هي مصدر التهديد الرئيسي للسلام العالمي. جاءت التفجيرات الإرهابية التي تعرضت لها مدينة الرياض في ساعة متأخرة من مساء السبت قبل الماضي.

وقد جاء الإنفجار بعد يوم واحد من تحذير الولايات المتحدة من إمكان وقوع ما وصفته بأعمال إرهابية في المملكة العربية السعودية، وإغلاق سفارتها في الرياض، وقنصليتها في جدة والظهران، كما سبق للولايات المتحدة وبريطانيا وكندا واستراليا أن نصحت رعاياها في نهاية اكتوبر بعدم السفر للسعودية مشيرة إلى توافر معلومات وصفتها بالموثقة عن هجمات تستهدف المصالح الغربية في المملكة.

وإذا كنا ندين بشدة الحملة الإرهابية المدبرة التي تتعرض لها المملكة العربية السعودية أيًا كانت هوية فاعليها؛ تلك البقعة الغالية على قلب كل مسلم... فإن ما تعرض له مجمع المحيا في الرياض لا يصب إلا في مصلحة أعداء الإسلام. ويأتي ذلك في ظل هجمة شرسة على الإسلام والمسلمين في كل مكان... ومع اشتداد وطيس المقاومة العراقية. وإطلاق العنان لليهود بمؤازرة كاملة من أمريكا في التهديد والوعيد لمصر ولسوريا وإيران ولبنان... ومحاولة إيهام العالم بأنهم سيصدرون الوهم الذي يسمونه الديمقراطية المزعومة لكل بلاد المنطقة... والضربات التي تكال للأمريكان والصهاينة ومن يؤازرونهم في العراق، وردود الأفعال السيئة لدى شعوب تلك الدول من جراء الضربات الموجعة للمقاومة. كل ذلك يجعلنا نشم رائحة

الغدر والخيانة للأمريكان واليهود وراء تلك التفجيرات، في محاولة للفت الأنظار عن كل ما يحدث، ولجعل الدول الإسلامية ترتمي في أحضان أمريكا التي تقف وراء الإرهاب العالمي. الذي زرعته في كل بقاع الدنيا، والأصابع الخفية للأمريكان واليهود مغموسة في كل كارثة تقع في بقعة من بقاع المعمورة!!

الصهاينة يتهمون المفتي وشيخ الأزهر بالإرهاب

إن الشهور والليالي والأعوام مقادير للآجال، ومواقيت للأعمال، تنقضي حثيثًا وتمضي جميعًا، والموت يطوف بالليل والنهار، لا يؤخر من حضرت ساعته، وفرغت أيامه، والأيام خزائن حافظة لأعمالكم، تدعون بها يوم القيامة ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا ﴾ [آل عمران: ٣٠]، وفي الحديث القدسي: «يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه» [جزء من حديث أبي ذر رضي الله عنه أخرجه مسلم في البر (٢٥٧٧)].

رحل رمضان والهجمة الشرسة على الإسلام والمسلمين تشتد وتشتعل، وها هي صحيفة يهودية تعرف باسم «معاريف» تشن حملة شرسة وهجومًا عنيفًا على مفتي مصر د. علي جمعة وشيخ الأزهر د. محمد سيد طنطاوي وتتهمهما مع العديد من علماء مصر بتشجيع التطرف والإرهاب قائلة: إن القيادة الدينية في مصر تشجع على كراهية إسرائيل، ودعم الإرهاب، بتأييدها للمقاومة الفلسطينية والعمليات الاستشهادية.

واحتجت الصحيفة على تصريحات للدكتور علي جمعة أكد فيها أن من يقوم بعمل يستهدف الصهاينة ويقتل أثناء ذلك؛ فإنه يدخل في عداد الشهداء. وقالت إن ذلك تشجيع للشباب الفلسطيني على القيام بالمزيد من هذه العمليات.

واعترفت معاريف أن تقريرًا بهذا الشأن أعدته المخابرات الإسرائيلية «الموساد» وتم إرساله إلى الإدارة الأمريكية في «واشنطن» وطالبتها بالتدخل لإيقاف هذا الأمر، ومنع الفتاوى الخاصة بالعمليات الاستشهادية.

هجمة غربية.. وصمت إسلامي

ينقضي رمضان وحال المسلمين من سيئ إلى أسوأ... الطعنات تكال ضد المسلمين في كل مكان ففي ألمانيا تعتزم السلطات الألمانية إغلاق مدرسة إسلامية لأنها تدرس القرآن أكثر من الرياضيات استمرارًا للحملة التي تهدف إلى القضاء على أي شكل من أشكال التنظيمات الإسلامية في أوروبا، ذكرت تقارير صحفية أن السلطات الألمانية تعتزم إصدار أمر بإغلاق مدرسة خاصة تدار بتمويل سعودي في ضواحي مدينة بون. وسط مزاعم متصاعدة بانتشار ما تطلق عليه السلطات هناك «التطرف الإسلامي» في المدرسة. وكانت إدارة المدرسة قد أوقفت في وقت سابق مدرسًا عن العمل استجابة لضغوط السلطات الألمانية. التي زعمت أن المدرس استغل صلاة الجمعة لدعوة مستمعيه من الطلبة للإشتراك في الجهاد ضد الغرب.

ويذكر أن مدرسة «أكاديمية الملك فهد» التي تضم فصولا لجميع مراحل التعليم. وتؤهل الطلبة للإلتحاق بالجامعة افتتحت عام ١٩٩٥م بحضور شخصيات ألمانية بارزة. وذكرت الأنباء أن السلطات الألمانية باتت تشعر بالقلق إزاء تزايد التركيز في المدرسة على التعليم الديني على حساب مناهج التعليم العادية، وتزعم ألمانيا أن المسلمين الذين تراقبهم عن كثب منذ هجمات ١١ سبتمبر بدأوا ينتقلون للإقامة في بون لإلحاق أبنائهم بالمدرسة، وأن المدرسة تخصص ثماني حصص أسبوعيًا لعلوم القرآن وأربع حصص فقط للرياضيات!!

وفي فرنسا كاتب فرنسي يهاجم الإسلام ويدعو لإبعاد المسلمين. ضمن مواصلة لحملة الإفك؛ والضلال فقد تجرأ ذلك الكاتب على الإسلام ووصفه بأوصاف لا تليق به وادعى أن الإسلام يتناقض مع كل القيم المدنية

●● ندين بشدة الحملة الإرهابية التي تتعرض لها المملكة أيا كانت هوية فاعليها. وما تعرض له مجمع المحيا في الرياض لا يصب إلا في مصلحة أعداء الإسلام.
●● نشم رائحة الغدر والخيانة من الأمريكان واليهود وراء تفجيرات الرياض في محاولة للفت الأنظار عن ما يحدث في العراق.

المعاصرة.

وأعرب الكاتب الفرنسي المعروف «كلود ايبمير» في مجلة «لو بون» عن نفوره من الإسلام وعدم موافقته على سماح الحكومة الفرنسية للمسلمين بالتزايد والانتشار في فرنسا حسب قوله.

وقال ايبمير إن الإسلام نفسه - لا المسلمين - يحمل كمًا هائلا من المتناقضات والتقاليد القديمة قائلا في معرض تهكمه على الإسلام: «لدي نفور من الإسلام ولن أستطيع أن أتقبله يومًا ما ولا أخشى من قول ذلك وإعلانه»!!

وزعم الكاتب أن سعي المسلمين لإنزال تعاليم دينهم على أرض الواقع واستبدال القوانين الوضعية بأحكام الإسلام من شأنه أن يؤدى إلى قيام حكومات متطرفة. وطالب الحكومة الفرنسية بالتصدي لانتشار الإسلام في فرنسا.

خطة أمريكية صهيونية لإقامة دولة يهودية جديدة في العراق!!

لقد مر بنا هذا الشهر المبارك كطيف خيال، مرَّ بخيراته وبركاته، مضى وهو شاهد لنا أو علينا بما أودعناه فيه، فليفتح كل واحد منا صفحة المحاسبة لنفسه: ماذا عمل فيه؟ وماذا استفاد منه؟ ما أثره في النفوس؟ وما ثمراته في الواقع... يمضي رمضان والمؤامرات ما تزال تحاك على كل جانب. وعلى أرض العراق تحاك مؤامرة خبيثة ظاهرها احتلال من عدو يكن للإسلام البغض والكراهية. وفي الخفاء تحاك مؤامرة خبيثة تكشف تفاصيلها عن مؤامرة ومخطط صهيوني أمريكي لإقامة دولة يهودية ثانية ولكن هذه المرة في العراق لتجسد الحكم الصهيوني الكبير في إقامة دولة إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات.....!!

وبالرغم من أن واشنطون تحاول كتم أنباء هذا المخطط إلا أن التفاصيل تعكس خطورة المرحلة الراهنة ليس على العراق فحسب وإنما على المنطقة بأسرها. والأمر لم يعد مجرد خطط حبيسة الأدراج، ولا مجرد اقتراحات تطلقها جماعات الضغط اليهودية على بعد آلاف الكيلومترات في واشنطون أو نيويورك، وإنما أصبح الأمر في الوقت الراهن خطة مكتملة الأركان تنفذ عمليًا على أرض الواقع بالمشاركة الفعلية مع قوات الاحتلال الأمريكي في العراق، حيث تسعى جماعات الضغط اليهودية إلى استغلال الأوضاع الاقتصادية في العراق في تنفيذ المخطط الذي وضعه خبراء أمريكيون وإسرائيليون ويجري تنفيذه تحت إشراف الإرهابي شارون شخصيا، والبداية عن طريق شراء الممتلكات والمنازل وتقديم إغراءات مالية كبيرة للعراقيين. حيث يجري تنفيذ الخطة في شمال العراق. الهدف فيها إعلان دولة كردية أولا ثم إضفاء الطابع اليهودي عليها في مخطط يشرف عليه شارون بنفسه وأكثر من ٥٦٠ عنصرًا من عناصر الموساد ودخلوا بجوازات سفر وأسماء أمريكية وأن ال«سي. أي. إيه» لم تعترض وإنما استفسرت عن السبب في زيادة هذا العدد أكثر مما هو متفق عليه، فردت وزارة الخارجية الإسرائيلية بأن زيادة العدد جاءت لدواعي الأمن في العراق، وقد قبلت الإدارة الأمريكية بهذا التبرير. وتتوقع المعلومات بأن تدفع إسرائيل بنحو ٤٠٠ عنصر آخرين للعمل في مناطق محددة داخل العراق. وهذه العناصر الإسرائيلية وظيفتها الرئيسية هي تقديم تقارير ومعلومات يومية عن الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية للعراق.

وأخطر ما تقوم به مجموعات الموساد داخل العراق حاليًا هو جمع حيازات الأراضي العراقية. ومعلومات عن ملاكها وأصول هؤلاء الملاك، وأوضاعهم الأسرية والاقتصادية والاجتماعية. وكذلك الصعوبات الأمنية التي يتعرضون لها.

والمحور الثاني مجموعة عمل مدنية إسرائيلية تعمل في داخل العراق، وكان الاعتقاد في البداية أن هذه المجموعة تتبع المخابرات الأمريكية إلا أن الذي اتضح مؤخرًا أن هذه المجموعة تتبع المخابرات الإسرائيلية وتضم

•• هجمة شرسة للصحف الصهيونية على رجال الدين في مصر تتهم المفتي وشيخ الأزهر بتشجيع التطرف والإرهاب.

•• خطة أمريكية صهيونية لإقامة دولة يهودية في شمال العراق لتمتد الدولة اليهودية، من النيل للفرات لتحقيق حلم الصهاينة.

رجال أعمال وعسكريين بالإضافة إلى يهود أمريكيين. وأن هذه المجموعة تعمل بالتعاون الوثيق مع الإدارتين العسكرية والمدنية داخل العراق. وأن هدف هذه المجموعة هو الاستطلاع. وتقييم الأراضي العراقية التي يمكن شراؤها، والمناطق الآمنة ومدى ابتعادها عن المناطق الأخرى التي يمكن أن تثير مشاكل أمنية وكذلك الاتفاق على طريقة البيع والشراء.

والمحور الثالث هو التعاون السري بين مكتب رئيس الوزراء الصهيوني شارون، ومكتب رئيس الإدارة المدنية الأمريكية في العراق، ومن اللجنة الإسرائيلية التي تعمل داخل العراق بجوازات سفر أمريكية ويرتدي أعضاؤها ملابس ضباط أمريكيين ومن المؤسسة العسكرية البنتاجون.

المحور الرابع: تقوم عناصر الخطة بإغراء السكان العراقيين على بيع منازلهم وأراضيهم والهجرة من هذه المناطق إلى خارج العراق وإلى مناطق بعيدة وتشمل الإغراءات تقديم مبالغ مالية كبيرة أو توفير سكن لهم مع هذه المبالغ في مناطق أخرى. والمشترون لهذه الأراضي من اليهود العراقيين أو اليهود الأمريكيين الذين يحملون جنسيات أخرى من اليهود العرب أو الأجانب أو شخصيات فلسطينية عملاء لجهاز الموساد الإسرائيلي.

وتردد المعلومات أن الموساد قد دفع بنحو ١٠٠ فلسطيني من فلسطين ١٩٤٨م حيث شاركوا بالفعل في عمليات الشراء والبيع للأراضي والممتلكات العراقية.

عدو الأمس هو عدو اليوم

وكشفت المعلومات الأولية أن الإسرائيليين في سبيلهم للتفاوض على حوالي ٤٥ قطعة أرض و١٨٣ شقة ومنزلا سكنيًا وأن هذه المناطق متميزة في قربها من نهر الفرات، وأن مالكي هذه المناطق سيكونون من اليهود والأمريكين وغالبيتهم من رجال الأعمال. كما أن هؤلاء في الأساس من جماعات الضغط الصهيونية «إيباك» وكانوا قد خصصوا حوالي ١٠٠ مليون دولار لشراء الأراضي في العراق في حين أن شارون قد خصص لهذا الهدف حوالي ٣٠٠ مليون دولار وهي مبالغ تعطي مؤشرًا على أن عمليات البيع التي تتم في الشمال هدفها الأساسي تحقيق الحلم الإسرائيلي من النيل إلى الفرات!!

مبشرات تثلج الصدر

في مقابل التغلغل والزحف باتجاه شراء الممتلكات في العراق لصالح اليهود انتشرت الدعوات من المقاومة العراقية التي بدأت تتنبه إلى خطورة هذه الظاهرة وحذرت في بيانات لها من بيع الأراضي العراقية للأجانب مؤكدة أن عمليات البيع التي تتم في الشمال ستكون مقدمة لبيع كل العراق لليهود وأعوانهم.

وبالأمس القريب وقبل كتابة هذه السطور تنقل إلينا الأنباء أخبار الضربات الموجعة والفضيحة المدوية حيث وجهت المقاومة العراقية ضربات قاتلة للصهاينة والأمريكان بالعراق حيث دمر رجال المقاومة المقر الرئيسي لجهاز المخابرات الإسرائيلي الموساد في كركوك بالشمال مما أدى إلى مصرع وإصابة المئات حيث سارعت القوات الأمريكية بنقل القتلى والمصابين إلى القاعدة العسكرية الأمريكية في كركوك تحت جنح الظلام بطائرات الهليكوبتر.

وأيًا كان الأمر وبرغم أن المخطط الإسرائيلي بدأ يتردد صداه في الدوائر الرسمية ووسائل الإعلام ورغم أن الكل يدرك أننا أمام وعد بلفور جديد يعطي من لا يملك وعدًا لمن لا يستحق إلا أن العواصم العربية يبدو أنها تغط في سبات عميق. فهل نصحو غدًا على كارثة جديدة؟!!

اللهم أعد على الأمة الإسلامية رمضان مرات ومرات، اللهم أعد علينا رمضان وقد زادت الهمة وانقسمت الغمة..

اللهم صل وسلم وبارك على نبينا وقدوتنا محمد بن عبد الله وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

●● ما أحوج الأمة أيام محنتها وشدائدها، وأحوال ضعفها وذلها إلى وقفات عندما تمر بها مناسبة لتستلهم العبر والعظات لتجدد العزم على المجاهدة الحقة للشيطان. ●● رمضان مدرسة للأمة الإسلامية يجب ألا تخرج منها إلا بإصلاح للأوضاع ومراجعة لمواطن الخلل في جميع أمورها.

الحمد لله على الإكمال

قال تعالى: ﴿ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

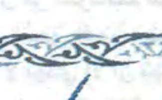

إعداد
د. عبد العظيم بدوي

لمَّا ذكر الله تعالى أحكام الصيام وفِقْهَه، وعزائمه ورخصه، أمر عباده إذا أكملوا عدة الشهر وأتموا صيامه أن يكبروه شكرًا على ما هداهم إليه من الصيام وغيره من الطاعات، وكذلك أمرهم إذا قضوا مناسكهم فقال تعالى: ﴿ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ (١٩٨) ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٩٩) فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾ [الحج: ١٩٨- ٢٠٠]، وهكذا أمر الله تعالى مَنْ هدى مِن عباده أن يشكروه على ما هداهم، لأنه أعطاهم ما لم يُعْطِ غيرهم، وفضلهم واختصهم، كما قال تعالى: ﴿ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة: ٢١٣]، وقال تعالى: ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة: ١٤٢]، وقال تعالى: ﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [البقرة: ١٠٥]، والمراد بهذه الهداية التي أمر الله المهتدين بشكرها هداية التوفيق التي معناها خَلْقُ قدرة الطاعة، لأن الهداية أنواع:

هداية عامة: وهي هدايةُ المخلوقات كلها لما هي ميسرة له كما قال تعالى: ﴿ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴾ [الأعلى: ٢، ٣].

وهدايةُ البيان والدلالة والإرشاد.

والمراد بها دلالةُ الإنسان على طريق الخير والشر، وتعريفه الحق والباطل، والهدى والضلال، والغيِّ والرّشاد كما قال تعالى: ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ [البلد: ١٠]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [الإنسان: ٣]، ولهذه الهداية بعث الله الرسل وأنزل الكتب فقال تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ [الرعد: ٧]، وقال في حق الأنبياء: ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ [الأنبياء: ٧٣]، وقال في حق القرآن الكريم: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩]، وقال في حق التوراة: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ (٥٣) هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [غافر: ٥٣، ٥٤]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾ [المائدة: ٤٦].

والنوع الثالث هداية التوفيق:

وهو خَلْق قُدرة الطاعة والإعانةُ على الاستجابة، وهذه هداية خاصة ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ

مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٦]، وهذه الهداية لا يملكها إلا الله وحده، ولذلك كانت من دلائل الألوهية كما قال موسى عليه السلام: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠]، وقال الخليل إبراهيم: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٧٨]، وأمر خليله محمدًا ﷺ أن يُقيم الحجة على المشركين بقوله: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (٣٤) قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لاَ يَهِدِّي إِلاَّ أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [يونس: ٣٤، ٣٥]، فالتوفيق للطاعة والإعانةُ عليها لا يملكه إلا الله، ولذلك قال الله تعالى لنبيه: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦]، مع أن الله تعالى قال له: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، فَعُلم أن الهداية الثانية المثبتة غيرُ الهداية المنفيَّة عنه، فالمثبتةُ هي هدايةُ البيان والدلالة والإرشاد التي تتمُّ عن طريق الدعوة كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المؤمنون: ٧٣]، أما التوفيق لقبول الدعوة والانتفاع بهدايتها فذلك لله وحده دون غيره، ولذلك أمرهم أن يستهدوه فقال في الحديث القدسي: «يا عبادي، كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم».

والإنسان محتاجٌ إلى الهداية أشدُّ من حاجته إلى الطعام والشراب؛ لأنه لو فقد الطعام والشراب فمات وكان من المهتدين دخل جنَّات النعيم: ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ [محمد: ١٥]، أما إذا فقد الهداية فقد شقي في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٣) لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ [الرعد: ٣٣، ٣٤].

ومعنى ذلك أن الهداية إلى الحقِّ والرشاد خيرٌ من الدنيا وما فيها، فمن هُدي إلى صراط الله المستقيم فقد أوتي خيرًا كثيرًا ووجب عليه أن يفرح بما أوتي كما قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ [يونس: ٥٨]، «وقد تنوعت عبارات السلف في تفسير الفضل والرحمة والصحيحُ أنها الهدى والنعمة، فَضلُه هداه ورحمتُه نعمتُه». [الفوائد لابن القيم ١٣٣]. ووجب على هدى إلى صراط مستقيم أن يشكر الهادي كما أمر سبحانه، فإنَّ الشكر من موجبات الزيادة كما قال تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

وقد اختلفت عباراتُ العلماء في معنى الشكر، وخلاصة القول: أن الشكر يكون بالقلب واللسان والجوارح، فأما الشكر بالقلب فهو الاعتقاد والاعتراف والمحبة والانقياد والخضوع، بمعنى أن يكون القلب معتقدًا معترفًا بأنَّ ما بالعبد من نعمة فمن الله وحده لا شريك له، لذلك يحب المنعم محبة تستلزم الخضوع والانقياد والتسليم لأمره.

وأما شكر اللسان فيكون بالاعتراف بالنعم والتحدّث بها والثناء على الله من أجلها، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١]، وقال ﷺ: «التحدث بنعمة الله شكر، وتركها كفر»، وأن يكثر العبد من قول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

وأما الشكر بالجوارح فهو: أن يُسخرها في

طاعة الله وينهاها عن معصيته، فيكون نظره في آيات الله المنظورة والمقروءة، وسمعه لآيات الله المسطورة والمكتوبة، ويده في الخير ممدودة، وعن الشر مقصورة، ورجله إلى الخير تسعى وهكذا، وعلى العبد أن يستعين بالله على شكره، كما أثنى الله تعالى بذلك على سليمان فقال: ﴿ وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ [النمل: ١٩]، وقال عن الإنسان: ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأحقاف: ١٥].

عن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ أخذ بيده وقال: «يا معاذ، والله إني لأحبك، والله إني لأحبك»، فقال: أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة أن تقول: «اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك».

وقد جرت سنةُ الله تعالى بجعل قبول هداية الأنبياء سببًا لهداية التوفيق، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ ﴾ [يونس: ٩]، فلما سمعوا دعوة الرسول إلى الإيمان فآمنوا هداهم الله ووفقهم وشرح صدورهم للإسلام وحبَّب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم، وكَرَّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان، وجعلهم من الراشدين، ولذلك قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ [محمد: ١٧]، وقال تعالى: ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ﴾ [مريم: ٧٦].

وأما الذين سمعوا الهدى وصَمُّوا آذانهم وعاندوا واستكبروا فإنَّ الله يعاقبهم بالحرمان من الانتفاع بما سمعوا من الهدى، قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾ [محمد: ١٦]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ [النور: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ٥٨].

عن عبد الله قال: من سره أن يلقى الله عز وجل غدًا مسلمًا فليحافظ على هؤلاء الصلوات الخمس حيث يُنادى بهن فإنهن من سنن الهدى، وإن الله شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدى، ولعمري لو أن كلكم صلى في بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد رأيت الرجل يهادى بين الرجلين حتى يدخل في الصف وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور فيعمد إلى المسجد فيصلي فيه فما يخطو خطوة إلا رفع الله له بها درجة وحط عنه بها خطيئة.

فيا أيها الراغب في الهداية الحريص عليها، احرص على السنة واستمسك بها، فكلما فعلت سنة ازددت هدى، وكلما ازددت اتباعًا ازددت هدًى، وعلى قدر ما تترك من السنة تنقص هدايتك، فأهدى الناس سبيلاً هم أتباع النبي ﷺ المستمسكون بسنته، وأضل الناس سبيلاً هم أهل الأهواء والبدع، قال تعالى: ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [القصص: ٥٠].

فمن قامت عليه الحجة بهداية البيان والدلالة والإرشاد فآمن زاده الله هدى، ومن بلغته الدعوة فعاند أضله الله وختم على قلبه، كما قال الله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأحقاف: ١٠]، وقال تعالى: ﴿ يَا بَنِي

آدمَ إمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (١٢٦) وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ [طه: ١٢٣- ١٢٧]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف]، وقال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١٠]، وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٦]، ولذلك قال مؤمنوا الجن بعد أن هداهم الله: ﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٣٠].

فمن أجاب محمدًا ﷺ فقد اهتدى، ومن أعرض عنه فقد ضلّ وغوى، ولذلك قال الله تعالى: ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٣١) وَمَنْ لاَ يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ﴾ [الأحقاف: ٣١، ٣٢].

كما جرت سنته تعالى بجعل أعمال البرّ سببًا للهداية وجعل أعمال الفجور سببًا للضلالة، قال تعالى: ﴿الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١- ٥]، وقال تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦].

فيا أيها الراغب في النجاة الحريص على الهداية، جاهد نفسك على فعل الخير وأعمال البر التي جعلها الله سببًا للهداية، فإن الله تعالى، قال: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، واعلم أن الله غني عن العالمين، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٦]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٥) ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [التغابن: ٥، ٦].

وفرّ إلى الله تعالى بالدعاء وألحّ عليه في السؤال: «اللهم اهدني فيمن هديت»، «اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى»، فإنه من استهدى الله هداه، واعلم أن حاجتك إلى الهداية شديدة وما لم يحصل لك منها أضعاف أضعاف ما حصلت فأنت بحاجة دائمًا إلى سؤال الله الهداية، ولذلك فرض الله على من هداهم للصلاة أن يسألوه في كل ركعة الهدى وعلّمهم أن يقرعوا في الفاتحة: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، وليس المراد ثبتنا ولكنه اهدنا لما لم نهتد إليه بعد، فإنّ درجات الهداية متباينة، وكلما انتهى الإنسان إلى درجة كانت فوقها درجات.

والحمد لله رب العالمين.

باب السنة

الوصية وتقسيم التركة في حياة المورث

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين. وبعد:

أخرج الجماعة عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه سعد قال: «عادني رسول الله ﷺ في حجة الوداع من وجع أشفيت منه على الموت فقلت: يا رسول الله بلغني ما ترى من الوجع وأنا ذو مال ولا يرثني إلا ابنة لي واحدة، أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: لا. قال قلت : أفأتصدق بشطره؟ قال: لا، الثلث والثلث كثير، إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس، ولست تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها حتى اللقمة تجعلها في في امرأتك، قال: قلت يا رسول الله أخلف بعد أصحابي؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنك لن تخلف فتعمل عملا تبتغي به وجه الله إلا ازددت به درجة ورفعة، ولعلك أن تخلف حتى ينتفع بك أقوام ويُضَرَّ بك آخرون، اللهم أمض لأصحابي هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم لكن البائس سعد بن خولة قال رثى له رسول الله ﷺ من أن توفي بمكة.

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في أحد عشر موضعا من صحيحه؛ في كتاب الإيمان باب ما جاء عن الأعمال بالنيات والحسبة برقم ٥٦، وفي الجنائز باب رثاء النبي ﷺ سعد بن خولة برقم ١٢٩٥، وفي كتاب الوصايا باب أن يترك ورثته أغنياء خير من أن يتكففوا الناس برقم ٧٤٢، وفي باب الوصية بالثلث برقم ٢٧٤٤، وفي كتاب مناقب الأنصار باب قول النبي ﷺ اللهم أمض لأصحابي هجرتهم ومرثيته لمن مات بمكة برقم ٣٩٣٦؛ المغازي باب حجة الوداع برقم ٤٤٠٩، وفي كتاب النفقات باب فضل النفقة على الأهل برقم ٥٣٥٤، وفي كتاب المرضى باب وضع اليد على المريض برقم ٥٦٥٩، وباب ما رخص للمريض أن يقول

إعداد

زكريا حسيني

إني وجع، أو وارأساه، أو اشتد بي الوجع برقم ٥٦٦٨، وفي كتاب الدعوات باب الدعاء برفع الوباء والوجع برقم ٦٣٧٣، وفي كتاب الفرائض باب ميراث البنات برقم ٦٧٣٣. كلها من رواية عامر بن سعد عن أبيه إلا موضعًا واحدًا في كتاب المرضى برقم ٥٦٥٩ فعن عائشة بنت سعد.

كما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الوصية باب الوصية بالثلث وساق الحديث بروايات عامر بن سعد ومصعب بن سعد، وعن ثلاثة من ولد سعد وأخرجه أبو داود

في كتاب الوصايا باب «ما جاء فيما يجوز للموصي في ماله» برقم ٢٨٦٤.

وأخرجه الترمذي في الوصايا باب ما جاء في الوصية بالثلث برقم ٢١١٦، وأخرجه النسائي في الوصايا باب الوصية بالثلث برقم ٣٦٥٦، وأخرجه ابن ماجه في الوصايا باب الوصية بالثلث برقم ٢٧٠٨.

وأخرجه الإمام مالك في الموطأ في كتاب الوصية باب «الوصية في الثلث لا تتعدى، كما أخرجه الإمام أحمد في المسند.

راوي الحديث

هو الصحابي الجليل سعد بن مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي الأمير أبو إسحاق القرشي الزهري المكي أحد العشرة، وأحد السابقين الأولين، شهد بدرًا وأحدًا والحديبية، وأحد الستة أهل الشورى.

قال الإمام الذهبي يروي جملة من الأحاديث الصالحة، اتفق البخاري ومسلم له على خمسة عشر حديثا، وانفرد البخاري بخمسة، وانفرد مسلم بثمانية عشر حديثا.

مناقبه لا تحصى كثرة، ومنها أن رسول الله ﷺ لم يجمع أبويه لأحد غيره رضي الله عنه فقد قال له رسول الله ﷺ يوم بدر «ارم فداك أبي وأمي» أخرجه مسلم، ومنها عن جابر قال كنا مع رسول الله ﷺ إذْ أقبل سعد بن مالك فقال رسول الله ﷺ: «هذا خالي فَلْيُرِني امرؤ خاله» أخرجه الترمذي والطبراني والحاكم وصححه ووافقه الذهبي.

ومنها أنه كان متسجاب الدعوة، فعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: شكا أهل الكوفة سعدًا إلى عمر، فقالوا: إنه لا يحسن يصلي، فقال سعد: أمَّا أنا فإني كنت أصلي بهم صلاة رسول الله، صلاة العشي لا أخرم منها، أركد في الأولين وأحذف في الأخريين، فقال عمر: ذاك الظن بك يا أبا إسحاق، فبعث رجالا يسألون عنه بالكوفة، فكانوا لا يأتون مسجدًا إلا قالوا خيرًا حتى أتوا مسجدًا لبني عبس، فقال رجل يقال له أبو سعدة: أما إذ نشدتمونا بالله، فإنه كان لا يعدل في القضية ولا يحكم بالسوية ولا يسري بالسَّرية، فقال سعد: اللهم إن كان كاذبا فأعم بصره، وأطل عمره، وعرضه للفتن، فكان بعد ذلك يتعرض للإماء في السكك، فإذا سئل: كيف أنت؟ يقول: كبير مفتون، أصابتني دعوة سعد.

شرح الحديث

والوصية أن يوصيَ الإنسانُ بجزءٍ من مالِهِ يُنْفَقُ بَعد موته على مَنْ أوصَى له به.

قول سعد رضي الله عنه: «عادني رسول الله ﷺ في حجة الوداع»، وفي رواية «جاء النبي ﷺ يعودني وأنا بمكة» زاد الزهري في روايته «في حجة الوداع من وجع اشتد بي» وله في الهجرة «من وجع أشفيت منه على الموت» قال الحافظ في الفتح: واتفق أصحاب الزهري على أن ذلك كان في حجة الوداع، إلا ابن عيينة فقال: «في فتح مكة» أخرجه الترمذي وغيره من طريقه، واتفق الحفاظ على أنه وهم فيه، وقد أخرجه البخاري في الفرائض من طريقه فقال «بمكة» ولم يذكر الفتح، وقد وجدت لابن عيينة مستندًا فيه، وذلك فيما أخرجه أحمد والبزار والطبراني والبخاري في التاريخ وابن سعد من حديث عمرو بن القاريِّ: «أن رسول الله ﷺ قدم فخلف سعدًا مريضا حيث خرج إلى حنين، فلما قدم من الجعرانة معتمرًا دخل عليه وهو مغلوب فقال: يا رسول الله إن لي مالا، وإني أورث كلالة، أفأوصي بمالي» الحديث، وفيه: «قلت يا رسول الله أَمَيِّتٌ أنا بالدار التي خرجت منها مهاجرًا؟

قال: لا، إني لأرجو أن يرفعك الله حتى ينتفع بك أقوام».. الحديث، فلعل ابن عيينة انتقل ذهنه من حديث إلى حديث، قال الحافظ: ويمكن الجمع بين الروايتين بأن يكون ذلك وقع له مرتين؛ مرة عام الفتح ومرة عام حجة الوداع، ففي الأولى لم يمكن له وارث من الأولاد أصلا، وفي الثانية كانت له ابنة فقط فالله أعلم، قوله رضي الله عنه: «من وجع أشفيت منه على الموت»: أي اقتربت على الموت، وهذا ظن سعد لشدة الوجع الذي أصابه رضي الله عنه.

قوله: «وهو يكره أن يموت بالأرض التي هاجر منها»: يحتمل أن تكون الجملة حالا من الفاعل أي الرسول ﷺ، أو من المفعول أي سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وكل منهما محتمل لأن كلا من النبي ﷺ ومن سعد كان يكره ذلك، قال الحافظ في الفتح: لكن إن كان حالا من المفعول وهو سعد ففيه التفات، لأن السياق يقتضي أن يقول «وأنا أكره» وقد أخرجه مسلم من طريق حميد بن عبد الرحمن عن ثلاثة من ولد سعد عن سعد بلفظ «فقال: يا رسول الله خشيت أن أموت بالأرض التي هاجرت منها كما مات سعد بن خولة».

قول سعد رضي الله عنه: «بلغني من الوجع ما ترى»: قال النووي في شرح مسلم: فيه جواز ذكر المريض ما يجده (من شدة الألم) لغرض صحيح من مداواة أو دعاء صالح أو وصية أو استفتاء عن حاله ونحو ذلك، وإنما يكره من ذلك ما كان على سبيل التسخط ونحوه، فإنه قادح في أجر مرضه.

قوله رضي الله عنه: «وأنا ذو مال» فيه دليل على إباحة جمع المال، لأن هذه الصيغة لا تستعمل إلا لمال كثير، بل قد صرح به في بعض الروايات «وأنا ذو مالٍ كثير».

قوله: «ولا يرثني إلا ابنة واحدة»: قال النووي وغيره: معناه لا يرثني من الولد أو من خواص الورثة أو من النساء، وإلا فقد كان لسعد عصبات من بني زهرة وهم كثير، وقيل: معناه لا يرثني من أصحاب الفروض، أو خصها بالذكر على تقدير لا يرثني ممن أخاف عليه الضياع والعجز إلا هي.

قوله رضي الله عنه: «أفأتصدق بثلثي مالي»: في رواية للبخاري من رواية سعد بن إبراهيم عن عامر بن سعد عن أبيه قال: «أوصي بمالي كله؟»: في رواية عائشة بنت سعد «أفأتصدق بثلثي مالي» وكذا وقع في رواية الزهري، فأما التعبير بقوله «أفأتصدق» فيحتمل التنجيز والتعليق أي تنجيز الصدقة أو تعليقها فتكون وصية تنفذ بعد الموت، بخلاف «أفأوصي» فإنها للتعليق، قال الحافظ في الفتح: لكن المخرج واحد فيحمل على التعليق للجمع بين الروايتين، قال: وأما الاختلاف في السؤال فكأنه سأل أولا عن الكل ثم سأل عن الثلثين ثم سأل عن النصف ثم سأل عن الثلث، وقد وقع مجموع ذلك في رواية جرير بن يزيد عند أحمد وفي رواية بكير بن مسمار عند النسائي كلاهما عن عامر بن سعد.

قوله ﷺ: «الثلث والثلث كثير» وفي بعض الروايات «كبير» قال النووي: وكلاهما صحيح. وقال ابن حجر في الفتح: ويحتمل أن يكون قوله: «والثلث كثير» مسوقا لبيان الجواز بالثلث وأن الأولى أن ينقص عنه ولا يزيد عليه وهو ما يبتدره الفهم، ويحتمل أن يكون لبيان أن التصدق بالثلث هو الأكمل أي كثير أجره، ويحتمل أن يكون معناه كثير غير قليل، قال الشافعي رحمه الله «وهذا أولى معانيه»، يعني أن الكثرة أمر نسبي، وعلى الأول عوّل ابن عباس رضي الله عنه كما روى البخاري رحمه الله تعالى قول ابن عباس رضي الله عنهما: «لو

غـض
الـنـاس إلـى
الربـع، لأن رسـول الله
ﷺ قــال: «الـثـلـث والثلث
كبير أو كثير».

وقــولـه ﷺ: «إنك أن تدع ورثتك» بفتح «أن» على التعليل وبكسرها على الشرطية، قال النووي: وكلاهما صحيح، ومنع القرطبي وابن الخشاب الكسر استبعادًا للشرط، ورد استبعادهما ابن مالك، وصحح كونه بالكسر كما أنه صحيح بالفتح، والله أعلم. وأما قوله: «ورثتك» وفي بعض الروايات «ذريتك» ولم يقل «ابنتك» لأن ورثته غيرها كثير إما في الوقت الذي كان فيه ذلك، وإما باعتبار ما يكون من حال سعد رضي الله عنه، فإنه عُمِّرَ بعد حجة الوداع خمسا وأربعين أو ثمانيا وأربعين سنة لأنه مات سنة خمس وخمسين أو ثمان وخمسين من الهجرة وعد له ابن سعد أكثر من سبعة عشر ابنا ومن البنات اثنتي عشرة بنتا والله أعلم.

قوله: «عالة» أي فقراء، وهو جمع عائل وهو الفقير، والفعل منه عال يعيل إذا افتقر.

وقوله: «يتكففون الناس» أي يسألون الناس بأكفهم، يقال تكفف الناس واستكف إذا بسط كفه للسؤال، أو سأل ما يكف عنه الجوع، أو سأل كفًا كفًا من طعام. قال في بعض الروايات «في أيديهم» أي بأيديهم، أو سألوا بأكفهم وضْعَ المسئولِ في أيديهم.

قوله ﷺ: «ولست تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها». وفي رواية «وإنك مهما أنفقت من نفقة فإنها صدقة» في هذه الرواية بإطلاق النفقة، وفي الرواية التي معنا مقيدة بابتغاء وجه الله تعالى وهو المعتبر في حصول الأجر. وهذا القول معطوف على قوله «إنك أن تذر ورثتك أغنياء» وهو علة للنهي عن الوصية بأكثر من الثلث، كأنه قيل: لا تفعل لأنك إن مت تركت ورثتك أغنياء، وإن عشت تصدقت وأنفقت فالأجر حاصل لك في الحالين.

وقوله: «حتى اللقمة تجعلها في في امرأتك» أي جميع ما تفعله في مالك من صدقة ناجزة ومن نفقة ولو كانت هذه النفقة واجبة تؤجر بها إذا ابتغيت بذلك وجه الله تعالى، قال الحافظ في الفتح: ولعله خص المرأة بالذكر لأن نفقتها مستمرة بخلاف غيرها.

قول سعد رضي الله عنه: «يا رسول الله أخلَّفُ بعد أصحابي»؟ أي أخلف بمكة بعد أصحابي إما إشفاقا من موته بمكة لكونه هاجر منها وتركها لله تعالى، وإما خشية من بقائه بمكة بعد انصراف رسول الله ﷺ وأصحابه إلى المدينة وتخلفه بسبب مرضه.

وقوله ﷺ: «إنك لن تخلف فتعمل عملا تبتغي به وجه الله إلا ازددت به درجة ورفعة» المراد بالتخلف طول العمر والبقاء في الحياة بعد جماعات من أصحابه، وفيه فضيلة طول العمر للازدياد من العمل الصالح والحث على إرادة وجه الله تعالى بالأعمال، والله أعلم.

وقوله ﷺ: «ولعلك أن تخلف حتى ينتفع بك أقوام ويضرَّ بك آخرون».

قال الإمام النووي رحمه الله: وهذا الحديث من المعجزات فإن سعدًا رضي الله عنه عاش حتى فتح العراق وغيره وانتفع به أقوام في دينهم ودنياهم، وتضرر به الكفار في دينهم ودنياهم؛ فإنهم قتلوا وصاروا إلى جهنم وسبيت نساؤهم وأولادهم، وغنمت أموالهم وديارهم، وولي العراق فاهتدى على يديه خلائق وتضرر به خلائق بإقامته الحق فيهم من الكفار ونحوهم.

وقوله ﷺ: «اللهم أمض لأصحابي هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم»: دعاء من النبي ﷺ لأصحابه أن يتمم الله للمهاجرين منهم هجرتهم ويجزل لهم الأجر عليها وينجزها لهم ولا يردهم

على أعقابهم بإبطال أجر هجرتهم وإحباطها عليهم.

قوله ﷺ: «لكن البائس سعد بن خولة» البائس هو الذي عليه أثر البؤس وهو الفقر والقلة، قال الإمام النووي رحمه الله: اختلفوا في قصة سعد بن خولة؛ فقيل لم يهاجر من مكة حتى مات بها، وذكر البخاري وغيره أنه هاجر وشهد بدرًا ثم انصرف إلى مكة ومات بها، وقال ابن هشام إنه هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية وشهد بدرًا وغيرها وتوفي بمكة في حجة الوداع سنة عشر، وقيل توفي بها سنة سبع في الهدنة خرج مجتازًا من المدينة.

قوله «رثى له رسول الله ﷺ من أن توفي بمكة» وفي رواية «يرثى له رسول الله ﷺ أن مات بمكة» قال العلماء هذا من كلام الراوي يفسر كلام النبي ﷺ أنه يرثيه ويتوجع له ويرق لحاله لكونه مات بمكة، واختلفوا في القائل من هو؟ فقيل سعد بن أبي وقاص وقد جاء مفسرًا في بعض الروايات، وقيل إنه من كلام الزهري. والله أعلم.

قال الحافظ في الفتح: وفي هذا الحديث من الفوائد غير ما تقدم:

مشروعية زيارة المريض للإمام فمن دونه، وتتأكد باشتداد المرض، وفيه وضع اليد على جبهة المريض ومسح وجهه ومسح العضو الذي يؤلمه، والفسح في طول العمر، وجواز إخبار المريض بشدة مرضه وقوة ألمه إذا لم يقترن بذلك شيء مما يمنع ويكره من التبرم وعدم الرضا، بل حيث يكون ذلك لطلب دعاء أو دواء وربما استحب، وأن أعمال البر والطاعة إذا كان منها ما لا يمكن استدراكه قام غيره في الثواب والأجر مقامه. وربما زاد عليه، وذلك أن سعدًا خاف أن يموت بالدار التي هاجر منها فيفوت عليه بعض أجر هجرته، فأخبره النبي ﷺ بأنه إن تخلف عن دار هجرته فعمل عملا صالحا من حج أو جهاد أو غير ذلك كان له به أجر يعوض ما فاته من الجهة الأخرى.

وفيه إباحة جمع المال بشرطه، والحث على صلة الرحم والإحسان إلى الأقارب، وأن صلة الأقرب أفضل من صلة الأبعد، والإنفاق في وجوه الخير، لأن المباح إذا قصد به وجه الله صار طاعة، وفيه سد الذريعة لقوله ﷺ: «ولا تردهم على أعقابهم» لئلا يتذرع بالمرض أحد لحب الوطن قاله ابن عبد البر، وفيه تقييد مطلق القرآن بالسنة لأنه سبحانه قال: ﴿من بعد وصية يوصي بها أو دين﴾ فأطلق، وقيدت السنة الوصية بالثلث، وفيه أن من ترك شيئا لله لا ينبغي له الرجوع فيه ولا في شيء منه مختارًا. وفيه التأسف على فوت ما يحصل الثواب، وأن من فاته ذلك بادر إلى جبره بغير ذلك. وفيه تسلية من فاته أمر من الأمور بتحصيل ما هو أعلى منه، وفيه مراعاة العدل بين الورثة. اهـ ملخصا من الفتح في شرح الحديث ٢٧٤٢.

وفي الحديث أيضا بيان خطأ من قسم ماله على الورثة في حياته، إذ ربما مات بعض الورثة قبله فيترتب عليه ذهاب بعض المال إلى غير مستحقيه، وربما طال عمر المورِّث وتزوج وأنجب فتضيع حقوق الورثة الجدد، وقد طال عمر سعد بعد مرضه هذا أكثر من خمس وأربعين سنة وصار له من الأولاد الجدد الكثير بينما ظن أنه ميت في مرضه هذا، فليحذر الذين يخالفون أحكام الله عز وجل بتوريث المال في حياتهم، ومن يورثون الذكور دون الإناث، وغير ذلك من المخالفات.

نسأل الله لنا وللمسلمين جميعا الهداية والتوفيق.

الإحسان بعد شهر القرآن

لفضيلة الشيخ / عبد المحسن القاسم
إمام المسجد النبوي

أيها المسلمون، إن الشهورَ والليالي والأعوام مقاديرُ للآجال ومواقيتُ للأعمال، تنقضي حثيثاً وتمضي جميعاً، والموت يطوف بالليل والنهار، لا يؤخّر من حضرت ساعته وفرغت أيامه، والأيام خزائن حافظةٌ لأعمالكم، تُدعَون بها يوم القيامة، ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ [آل عمران:٣٠]، ينادي ربكم: «يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفّيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه» رواه مسلم.

لقد رحل شهركم بأعمالكم، وخُتم فيه على أفعالكم وأقوالكم، فمن كان مسيئاً فليبادر بالتوبة والحسنى قبل غلق الباب وطيِّ الكتاب، ومن كان في شهره إلى ربه منيباً وفي عمله مصيبا فليُحكم البناءَ ويشكر المنعمَ على النعماء، ولا يكن كالتي نقضت غزلها من بعد قوّة أنكاثاً، وما أجملَ الطاعة تعقبها الطاعات، وما أبهى الحسنة تُجمع إليها الحسنات، وأكرِم بأعمال البر في ترادف الحلقات، إنها الباقيات الصالحات التي ندب الله إليها ورغَّب فيها، وكونوا لقبول العمل أشدَّ اهتماماً منكم بالعمل، فالله لا يتقبل إلا من المتقين، وما أقبح فعل السيئة بعد الحسنة، ولئن كانت الحسنات يُذهبن السيئات فإن السيئات قد يحبطن الأعمال الصالحات.

أيها المسلمون، كنتم في شهر البر والخير، تصومون نهارَه، وتقومون ليلَه، وتتقرَّبون إلى ربكم بأنواع القربات طمَعاً في الثواب وخشيةً من العقاب، وقد رحلت تلك الأيام،

وكأنها ضربُ خيال، لقد قطعت بنا مرحلةً من حياتنا لن تعود، هذا هو شهركم، وهذه هي نهايته، كم من مستقبلٍ له لم يستكمله، وكم من مؤمِّل أن يعودَ إليه لم يدركه، وهكذا أيام العمر مراحلُ نقطعها يوماً بعد يوم في طريقنا إلى الدار الآخرة.

إن استدامةَ أمر الطاعة وامتدادَ زمانها زادُ الصالحين وتحقيق أمل المحسنين، وليس للطاعة زمنٌ محدود، ولا للعبادة أجل معدود، بل هي حقّ لله على العباد، يعمرون بها الأكوان على مرّ الأزمان، وشهر رمضان ميدانٌ لتنافس الصالحين وتسابق المحسنين، يعملون بأرواحهم إلى الفضائل، ويمنعون عنها الرذائل، ويجب أن تسير النفوس على نهج الهدى والرشاد بعد رمضان، فعبادة ربٍّ العالمين ليست مقصورة على رمضان، وليس للعبد منتهى من العبادة دون الموت، وبئس القوم يعبدون الزمان لا يعرفون الله إلا في رمضان.

أيها المسلمون، إن للقبول والربح في هذا الشهر علاماتٍ، وللخسارة والردّ أمارات، وإن من علامة قبول الحسنة فعلَ الحسنة بعدها، ومن علامة السيئة السيئة بعدها، فأتبعوا الحسنات بالحسنات تكن علامةً على قبولها، وأتبعوا السيئاتِ بالحسنات تكن كفارة لها ووقايةً من خطرها، ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود:١١٤]، ويقول عليه الصلاة والسلام: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنةَ تمحُها، وخالق الناسَ بخلق حسن» رواه الترمذي.

ومن عزم على العود إلى التفريط والتقصير بعد رمضان فالله حيّ لا يفنيه تداولُ الأزمان وتعاقب الأهلة، وهو يرضى عمن أطاعه في أي شهر كان، ويغضب على من عصاه في كلِّ وقت وآن، ومدار السعادة في طول العمر وحسن العمل، ومداومة المسلم على الطاعة من غير قصرٍ على زمان معيّن أو شهر مخصوص أو مكان فاضل من أعظم البراهين على القبول وحسن الاستقامة.

أيها المسلمون، إن انقضى موسمُ رمضان فإن الصيام لا يزال مشروعاً في غيره من الشهور، فقد سنَّ المصطفى صيام الاثنين والخميس، وقال: «إن الأعمال تعرض فيها على الله، وأحبُّ أن يُعرض عملي وأنا صائم»، وأوصى نبيُّنا محمد ﷺ أبا هريرة رضي الله عنه بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وقال: «صوم ثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر كله» متفق عليه.

وأتبعوا صيام رمضان بصيام ست من شوال، يقول عليه الصلاة والسلام: «من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر» رواه مسلم. ولئن انقضى قيام رمضان فإن قيام الليل مشروع في كل ليلة من ليالي السنة، وقد ثبت عن النبي ﷺ أن الله ينزل إلى السماء الدنيا كلَّ ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له، و«أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل»، والمغبون من انصرف عن طاعة الله، والمحروم من حُرم رحمةَ الله.

عباد الله، مع انغماس بعض الشباب في شهر الصيام في الشهوات والمنكرات، وتقلّبهم في المعاصي والسيئات، ترى فتيةً قد سلكوا طرقَ الخيرات، وسعوا للتزوّد من الباقيات الصالحات، لزموا الاعتكافَ في بيوت الله، وقطعوا العلائق عن الخلائق للاتصال بالخالق، جعلوا رضا الله فوقَ أهوائهم، وطاعتَه فوق رغباتهم،

تراهم ما بين راكع وخاشع وساجد ودامع، يتلون كتاب ربهم، ويكثرون من ذكر خالقهم، بهم يُفتخر، وبمثلهم يُعتزّ، إنهم يعيدون الأملَ للأمة، والصلاح في أبناء الملة، فليُحذَ حذوهم في الاستقامة والنقاء، وليهنؤوا فهذا فعل النبلاء، ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس:٥٨].

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٧].

أيها المسلمون، اتقوا الله فإن تقواه رأس الأمر كله، واعملوا بطاعته تفوزوا بمرضاته، واجتنبوا محارمه تنجوا من غضبه وعقابه، ولا تعودوا إلى الانغماس في معصيته، فإن الانغماس في المعاصي يوجب عذابَه، وقد ودَّعتم موسماً مباركاً عظيماً من مواسم المتاجرة مع ربكم في الأعمال الصالحة، وامتنَّ على أهل هذه القبلة بفيض رحمته ورضوانه، وأعتق رقاباً قد أرَّقتها جرائر سيئاتها، فاستأثرت بالسعادة ونجت من الشقاوة، وهنيئاً لمن فاز بجائزة ربه، ويا ويح من عاد بالخيبة والندامة، وكأنكم بالأعمال قد انقضت، وبالدنيا قد مضت، فاستعدّوا بذخائر الأعمال لما تلقَون من عظيم الأهوال، وقد آن وقتُ التحويل إلى الوقوف بين يدي الملك الجليل، فأنفاسكم معدودة، وملك الموت قاصدٌ إليكم، يقطع آثاركم ويخرّب دياركم، فرحم الله عبداً نظر لنفسه وقدَّم لغده من أمسه، فترحَّلْ من مواطن غيِّك وهلاكك إلى مواطن رشدِك وسدادك، ولا تغترَّ بكثرة الهالكين بزخارف الدنيا، ولا تستوحش من الحقّ لقلة السالكين.

واشكروا ربكم على تمام فرضكم، وابتهجوا بعيدكم بالبقاء على العهد وإتباع الحسنة بالحسنة، وإياكم والمجاهرة في الأعياد بقبيح الفعال والآثام، فذلك ماحق للنعم، يقول أحد السلف: "كل يوم لا يُعصى الله فيه فهو عيد، وكل يوم يقطعه المؤمن في طاعة مولاه وذكره وشكره فهو عيد".

والحمد لله رب العالمين

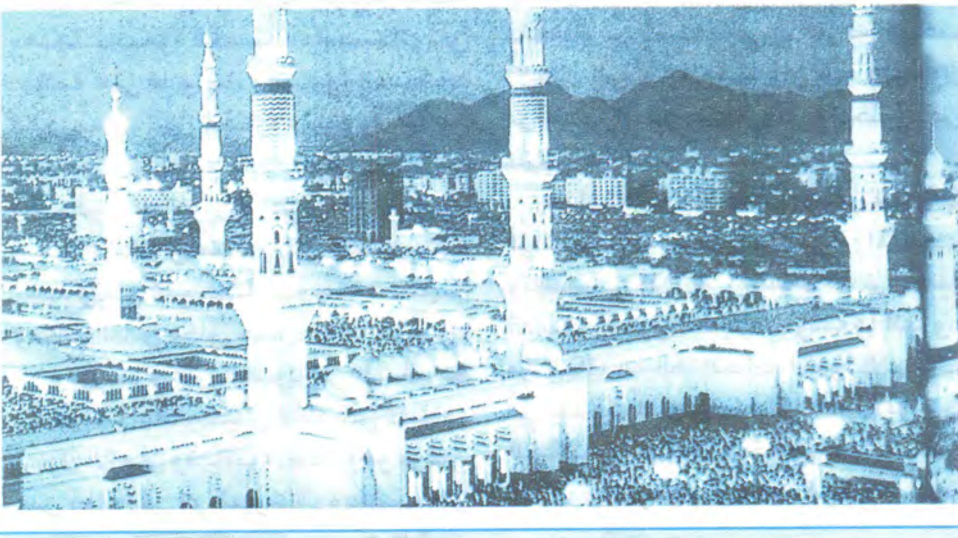

نسخ القرآن

•• الحلقة الثانية ••

إعداد/ مصطفى البصراتي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وبعد:

أركان النسخ

للنسخ ركنان:

١ - الناسخ: وهو اسم فاعل من نسخ، أي الناقل، وهو الخطاب الشرعي المتأخر المنافي للمتقدم والمنفصل عنه ويجب العمل به.

٢ - المنسوخ: هو اسم مفعول من نُسِخَ، أي المنقول، وهو الخطاب الشرعي المتقدم والمنافي للمتأخر، ولا يجوز العمل به.

بم يعرف الناسخ من المنسوخ

أ - بتصريح النبي ﷺ كقوله صلوات الله وسلامه عليه: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم الآخرة» [رواه مسلم].

ب - بتصريح صحابي نحو قول عائشة رضي الله عنها «كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن ثم نسخن بخمس معلومات..» [رواه مسلم].

ج - بمعرفة التاريخ أي المتقدم من المتأخر، نحو قوله تعالى: ﴿ الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ ﴾ [الأنفال:٦٦]، فلفظ الآن يدل على تأخر الخطاب الشرعي المقترن بها، وكذلك كقول الصحابي رُخِّصَ لنا في كذا فإن الرخصة تكون بعد العزيمة.

شروط النسخ أربعة:

الشرط الأول

أن يكون الحكم المنسوخ قد ثبت بخطاب متقدم، أما لو ثبت الحكم بدليل العقل أو البراءة كاستباحة الناس الخمر على عادة كانت لهم، فرفع ذلك، فإن ذلك ليس بنسخ لأنه لم يثبت الحكم السابق بخطاب متقدم، وكتحديد عدد الزوجات بأربع لأنه لم يكن محددا في الجاهلية بعدد معين، ومشروعية القصاص والدية، وقد كان عند بني إسرائيل القصاص فقط كما قال ابن عباس في رواية البخاري - ومثل هذا ليس نسخا، وإنما هو رفع للبراءة الأصلية.

الشرط الثاني

أن يكون الحكم المنسوخ مطلقا لم يُحدَّد بمدة معلومة، فيأتي الناسخ فجأة دون انتظار من المكلفين.

الشرط الثالث

أن يكون الناسخ خطابًا شرعيًا، فلو ارتفع الحكم بموت المكلف أو جنونه أو غير ذلك من العوارض فليس هذا بنسخ.

الشرط الرابع

أن يكون الناسخ منفصلا عن المنسوخ متأخرًا عنه، فإن اتصل واقترن به كالشرط أو الغاية فإنه يسمى تخصيصًا.

وزاد ابن الجوزي شرطا خامسًا هو: أن يكون الحكم في الناسخ والمنسوخ متناقضا فلا

يمكن العمل بهما.

أقسام النسخ أربعة:

النوع الأول: نسخ القرآن بالقرآن

ومثاله نسخ عدة المتوفى عنها زوجها وكان حولا كاملا (أي سنة كاملة) وهو قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ [البقرة:٢٤٠] نُسخ بقوله: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة:٢٣٤]، فصارت عدتها إلى أربعة أشهر وعشرة أيام.

النوع الثاني: نسخ القرآن بالسنة

ومثاله نسخ الوصية للوالدين والأقربين الثابتة بالقرآن في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:١٨٠]، بقوله ﷺ: «لا وصية لوارث» وقيل إن الآية منسوخة بالكتاب وهذا لا يمنع فإنه من باب توارد الأدلة.

النوع الثالث: نسخ السنة بالقرآن

ومثاله تحويل القبلة من بيت المقدس وهي ثابتة بالسنة إلى الكعبة بقوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة:١٤٤].

وكذلك تحريم مباشرة النساء في ليالي رمضان بعد النوم أو صلاة العشاء الآخرة ثبت بالسنة ونسخ بالقرآن.

النوع الرابع: نسخ السنة بالسنة

ومثاله قوله ﷺ: «كنت نهيتكم عن النبيذ في الأوعية فاشربوا فيما شئتم ولا تشربوا مسكرا» [رواه أحمد].

أقسام المنسوخ

المنسوخ من القرآن ينقسم إلى ستة أقسام:

الأول: ما رفع الله جل وعلا - رسمه من كتابه بغير بدل منه (أي بغير آية أخرى) ومنع الإجماع من تلاوته على أنه قرآن، وبقي حكمه مجمعًا عليه، نحو آية الرجم ﴿الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة﴾.

الثاني: ما رفع الله حكمه من الآي بحكم آية أخرى، (وكلاهما ثابت في المصحف) مجمع على تلاوته، وهذا هو الأكثر في المنسوخ، ولا يكونُ في الأخبار على ما قدَّمنا، وقد مضى تمثيلُه في آية الزواني: ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ﴾ [النساء:١٥] المنسوخة بالجلد المجمع عليه الوارد في سورة النور: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور:٢] وكلاهما باقٍ متلو كُلُّهُ.

الثالث: ما فُرضَ العملُ به لِعِلَّةٍ، ثم زال العمل به لزوال تلك العلة وبقي متلوًا ثابتًا في المصحف نحو قوله: ﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ [الممتحنة:١١]، أي بأن فرت امرأة أحدكم إلى الكفار مرتدة ولحقت بهم ولم يعطوكم مهرها ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾ أي الكفار فغنمتم منهم غنائم ﴿فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا﴾ [الممتحنة:١١] أي فأعطوا الذين ذهبت أزواجهم إلى الكفار مثل ما انفقوا عليهم من مهور. وقال: ﴿وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا﴾ [الممتحنة:١٠] أي وطالبوا بمهور نسائكم إذا ارتددن، وليطالبوا بمهور نسائهم اللآئي هاجرن إلى المسلمين.

أمروا بذلك كُلِّه وفُرضَ عليهم لسبب المهادنة التي كانت بين النبي ﷺ وبين قريش في سنة ستٍ في غزوة الحديبية، إذ صدُّوه عن البيت، فلما ذهبت المهادنةُ وزال وقتُها سقط العمل بذلك كله وبقي اللفظ متلوًا ثابتًا في المصحف.

الرابع: ما رفع اللهُ تعالى رسمه من كتابه فلا يُتلى، وأزالَ حكمه، ولم يرفع حفظه من القلوب، وَمَنَع الإجماعُ من تلاوته على أنه قرآن. وهذا أيضا إنما يُؤخذُ من طريق الأخبار نحو ما ذكر من حديث عائشة رضي الله عنها - في العشر الرضعات والخمس. فالأُمَّةُ مُجمعةٌ على أن حكم العشر غيرُ لازم، ولا معمول به عند أحد. وإنما وقع الاختلاف في التحريم برضعة على نص القرآن في قوله تعالى: ﴿وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ﴾ [النساء:٢٣]، أو بخمس رضعاتٍ على قول عائشة أنها نسخت العشر - وكانت مما يتلى.

الخامس: ما حصل من مفهوم الخطاب فنُسخَ بقرآن متلوٍّ وبقي المفهوم ذلك منه متلوًا

نحو قوله: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾ فهم من هذا الخطاب أن السُّكْرَ في غير قرب الصلاة جائزٌ فنسخ ذلك المفهوم قوله ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ إلى قوله ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ فحرَّم الخمر، والسُّكرُ: مثل الخمر، وبقى المفهوم ذلك منه متلوًا قد نُسِخَ أيضا بما نُسِخ ما فهم منه، فيكون فيه نسخان: نسخ حكم ظاهرٍ متلوٍّ ونسخُ حُكم ما فهم من مَتْلُوِّه.

السادس: نحو ما نسخ الله من فعل النبيِّ وأصحابه مما كانوا عليه من الكلام في الصلاة فنسخَه الله بقوله: (وقوموا لله قانتين) ونحو (استغفاره) ﷺ لعمه أبي طالب، فنسخَهُ الله بقوله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة:١١٣] وهو كثير. وقد يدخل في هذا نسخ القبلةِ نحو بيت المقدس - على قول من قال: إن النبي صلى إليها (باجتهاده) لا بنصٍّ من الله. فأما من قال: إنه ﷺ - صلَّى إليها بأمرٍ من الله له بدليل قوله ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾ [البقرة:١٤٣]، فليس من هذا الفصل. وهو من الفصل الثاني لأن (الناسخ والمنسوخ) مَتْلُوَّانِ باقيان.

أقسام الناسخ

الناسخ من القرآن على ثلاثة أقسام:

الأول: أن يكون الناسخُ فرضًا نسخ ما كان فرضا، ولا يجوزُ فعلُ المنسوخ، نحو قوله تعالى ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ﴾ [النساء:١٥] فرض الله فيها حبسَ الزانية حتى تموتَ أو يجعلَ الله لها سبيلًا. ثم جعل لها السَّبيل بالحدود في سورة النور بقوله: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور:٢] - فكان الأول فرضًا فنسخه فرْضٌ آخر. ولا يجوز فِعْلُ الأول المنسوخ وكلاهُما متلوٌّ.

الثاني: أن يكونَ الناسخُ فرضًا نسخ فرضًا ونحن مخيرون في فعل الأوَّل وتركه وكلاهما متلو. وذلك نحو قوله تعالى: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا﴾ [الأنفال:٦٥] فَفَرضَ الله على الواحد المؤمن ألا ينهزم لعشرة من المشركين ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ﴾ [الأنفال:٦٦]. ففرض على الواحد المؤمن ألا ينهزم لاثنين من المشركين، فنسخ فرضٌ فرضًا وكلاهما متلو. ولو وقف الواحدُ لعشرة من المشركين فأكثر لجاز. فنحنُ مخيرونَ في فعل المنسوخ وتركه، ومن هذا النوع أيضا فرض صوم شهر رمضان نَسَخَ ما كان قد فُرض علينا في قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة:١٨٣]. قال عطاء وغيرُه: كان جل جلاله قد كتَب على من كان قبلنا صيامَ ثلاثةِ أيام من كُلِّ شهر، وكتبه علينا بقوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ثم نَسخَه بفرض صوم شهر رمضان. ونحنُ مخيَّرونَ في صيام ثلاثةِ أيَّام من كُلِّ شهرٍ أو تركِه. وفي هذا خلاف. وقد قيل: إن الله جل وعلا - فَرَضَ علينا صومَ يوم عاشوراء، كما فرضه على مَن كان قبلنا ثم نَسخَه بفرض صوم شهر رمضان، ونحن مخيرون في صوم يوم عاشوراء أو تركه.

وقت النسخ

النسخ إنما يكون في حياة النبي ﷺ فقط، فلا يجوز بعد وفاته، لأن النسخ يكون بالوحي ولا وحي بعد رسول الله ﷺ ولأن النسخ يجب أن يكون بقوة المنسوخ ولا شيء في قوة الوحي إلا الوحي، وقد انقطع بعد وفاة الرسول الكريم ﷺ.

ما يجوز نسخه من الأحكام وما لا يجوز

أما الأحكام التي يجوز نسخها، فهي الأحكام الفرعية التي تقبل التبديل والتغيير مثل الفرائض والأوامر والنواهي والحدود والعقوبات من الأحكام الدنيا.

أما ما لا يجوز نسخه فهو:

١- الأحكام التي تتعلق بأصول الدين كالإيمان بالله، وملائكته وكتبه ورسله والقدر والأسماء والصفات ومثل حرمة الشرك بالله.

٢- الأحكام الكلية كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونحو ذلك.

٣- الأحكام التي لا تحتمل عدم المشروعية وهي أمهات الأخلاق والفضائل كالعدل والأمانة

والصدق، والوفاء وبر الوالدين فهذه حُسْنُها لا يتغير بتغير الأزمان، ولذلك لا يمكن أن تنسخ.

٤ ـ الأحكام التي لا تحتمل المشروعية وهي: أمهات الرذائل، مثل الكذب والظلم والخيانة. والغدر فهذه لا يمكن أن تنسخ لأن قبحها لا يتغير بمرور الزمن.

٥ ـ الأحكام الفرعية التي لحق بها ما جعلها مؤبدة لا يجوز نسخها مثل قوله ﷺ: «الجهاد ماض إلى يوم القيامة» وتحريم زوجاته ﷺ.

٦ ـ كلُّ ما أخبرنا الله تعالى عنه أنه سيكون أو أنه كان أو وعدنا به أو قصَّ علينا من أخبار الأمم الماضية وما قصَّ علينا من أخبار الجنة والنار والحساب والعقاب والبعث والحشر وخَلْق السموات والأرضين وتخليد الكفار في النار والمؤمنين في الجنة هذا كُلُّهُ وشبَهُه من الأخبار لا يجوز نسخه لأنه سبحانه يتعالى أن يخبر عن الشيء على غير ما هو به.

لا يجوز في ذلك كُلِّه أن يُنْسخ ببدل منه.

فهذه الأحكام لا يتصور أن تكون في وقت أو حال أو ظرف على صفة تستدعي تبديلها أو تغييرها، فهي ثابتة مهما تغيرت الظروف والأحوال والأزمان.

فأما جوازُ أن يُنسَخَ ذلك كله بإزالة حفظه من الصدور ـ ونعوذ بالله من ذلك ـ فذلك جائزٌ في قدرته تعالى يفعل ما يشاء.

شُبَه النَّسخ

وللناسخ والمنسوخ أمثلة كثيرة إلا أن العلماء في هذا:

أ ـ منهم المكثر الذي اشتبه عليه الأمر فادخل في النسخ ما ليس منه.

ب ـ ومنهم المتحري الذي يعتمد على النقل الصحيح في النسخ.

ومنشأ الاشتباه عند المكثرين أمور أهمها:

١ ـ اعتبار التخصيص نسخًا ـ ومثال التخصص ـ قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة:٢٢٨]، فهو عام في كل مطلقة حاملا كانت أو غير حامل، مدخولا بها أو غير مدخول بها، خُصَّ بقوله ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق:٤]. وبقوله: ﴿إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ﴾ [الأحزاب:٤٩] فاشتبه على هؤلاء أن هذا التخصيص ناسخا.

٢ ـ اعتبار البيان نسخا (هو ما يعرف في كتاب الله المعجز «بمطلق القرآن ومقيده») والمطلق هوما دل على الحقيقة بلا قيد، فهو يتناول واحدا لا بعينه من الحقيقة، كلفظ (رقبة) في مثل (فتحرير رقبة) فإنه يتناول عتق إنسان مملوك ـ وهو شائع في جنس العبيد مؤمنهم وكافرهم على السواء، لأن المعنى: فعليه تحرير رقبة. أما المقيد فهو ما دل على الحقيقة بقيد، كالرقبة المقيدة بالإيمان في قوله تعالى: ﴿فتحرير رقبة مؤمنة﴾ فاشتبه على هؤلاء أن هذا نسخٌ.

٣ ـ اعتبار ما شرع لسبب ثم زال السبب من المنسوخ، كالحث على الصبر وتحمل أذى الكفار في مبدأ الدعوة حين الضعف والقلة، ففرض الله على الواحد المؤمن ألا ينهزم لعشرة من المشركين لقوله تعالى: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا﴾ [الأنفال:٦٥] ثم حينما زال الضعف والقلة وصار المسلمون كثرة في العدد والقوة نزل التخفيف في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ﴾ [الأنفال:٦٦] فإذا وجدت الكثرة والقوة وجب الدفاع عن العقيدة بالقتال وهو الحكم الثاني، ولو وقف الواحد لعشرة من المشركين لجاز وهو الحكم الأول وكلاهما متلوّ فنحن مخيرون في فعل الحكم الثاني وتركه ولا يعتبر ناسخًا كما شُبِّه على هؤلاء.

٤ ـ اعتبار ما أبطله الإسلام من أمر الجاهلية أو من شرائع الأمم السابقة نسخا كتحديد الزوجات بأربع، ومشروعية القصاص والدية، وقد كان عند بني إسرائيل القصاص فقط كما في البخاري عن ابن عباس ـ وكما مر بك أن من شروط النسخ أن يكون الحكم المنسوخ قد ثبت بخطاب متقدم. ومثل هذا ليس نسخًا. والله أعلم.

والحمد لله رب العالمين.

فقيه العراق

إبراهيم النَّخَعي

إعداد: مجدي عرفات

اسمه ونسبه: هو الإمـــام الحـــافظ أبو عمـران إبراهيم بن يزيد بن قـيس بن الأسـود النَّخَـعِي اليماني ثم الكوفي أمه مليكة أخت الأسود بن يزيد.

شيـوخـه: روى عن خـاله الأسـود بن يزيد، ومسروق، وعلقمة بن قيس، وعبيدة السلماني، والربيع بن خُثَيْم، وسويد بن غَفَلة، وشريح القاضـي، وأبي عبد الرحمن السلمي، وخلق كثير من التـابعين، وليس له سماع من الصحابة المتأخرين الذين كـانوا مـعـه بالكوفـة، ودخل على أم المؤمنين عائشة وهو صبي.

الرواة عنـه: روى عنـه الحـكم بـن عُتَيْبَةَ، وعمرو بن مرة، وسماك بن حرب، وحـمـاد بـن أبي سليمـان تلميـذه، والأعمش، وعبـد الله بن عـون، ومـغـيرة بن مقسم الضَّبي تلميذه وخلق سواهم.

ثناء العلماء عليه: قال العجلي: كان مفتي أهل الكوفة هو والشعبي في زمانهما وكان رجلاً صالحًا، فقيهًا، متوقيًا، قليل التكليف.

قال الأعمش: كان إبراهيم صيرفيّ الحديث. قلت: يعني أنه من النقاد للحديث ذوي الخبرة به وبعلله.

قال يحيى بن معين: مراسيل إبراهيم أحبّ إليّ من مراسيل الشعبي.

قال طلحة بن مصرف: ما بالكوفة أعجب إليّ من إبراهيم وخيثمة.

قال سعيد بن جبير: أتستفتوني وفيكم إبراهيم؟.

قال شعيب بن الحجاب: كنت فيمن دفن إبراهيم النخعي ليلاً سابع سبعة أو تاسع تسعة، فقال الشعبي: أدفنتم صاحبكم؟ قلت: نعم، قال: أما إنه ما ترك أحدًا أعلم منه، أو أفقه منه، قلت: ولا الحسن ولا ابن سيرين؟ قال: نعم، ولا من أهل البصرة ولا من أهل الكوفة ولا من أهل الحجاز.

وفي رواية: ولا من أهل الشام.

قال أحمد بن حنبل: كان إبراهيم ذكيًا حافظًا صاحب سنة.

قال الذهبي: وكان بصيرًا بعلم ابن مسعود واسع الرواية فقيه النفس كبير الشأن كثير المحاسن رحمه الله تعالى.

قال أبو نعيم: ومنهم التقي الخفي الفقيه الرضي إبراهيم بن يزيد النخـعي، كـان للعلوم جـامـعًـا وبه نخـوة النفـوس واضـعًـا وعن المتواضعين رافعًا.

قال ابن حجر: الفقيه ثقة، إلا أنه يرسل كثيرًا.

من أحواله وأقواله: قال إسماعيل بن أبي خالد: كان الشعبي وإبراهيم وأبو الضحى يجتمعون في المسجد يتذاكرون الحديث فإذا جاءهم شيء وليس فيه عندهم رواية، رموا إبراهيم بأبصارهم.

قال المغيرة: كره إبراهيم أن يستند إلى سارية. قلت: تواضعًا منه.

قال إبراهيم: ما كتبت شيئًا قط. قلت: لتمام حفظه وضبطه.

قال الأعمش لإبراهيم: إذا حدثتني عن عبد الله فأسند، قال: إذا قلت: قال عبد الله فقد سمعته من غير واحد من الصحابة، وإذا قلت: حدثني

فلان، فحدثني فلان.

قال الحاكم: كان إبراهيم النخعي يحج مع عمه وخاله علقمة والأسود، وكان يبغض المرجئة ويقول: لأنا على هذه الأمة- من المرجئة- أخوف عليهم من عدتهم من الأزارقة.

قلت: المرجئة الذين يقولون الإيمان قول بلا عمل، وأن المؤمنين في إيمانهم سواء، فإيمان آحاد المؤمنين كإيمان جبريل والملائكة والأنبياء والصحابة، وهذا قول باطل يبطله القرآن والسنة والإجماع من السلف....، أما الأزارقة فهم طائفة من الخوارج وهم أهل شر وفساد على عكس المرجئة فيحكمون على مرتكب الكبيرة بالكفر.

قال شعيب بن الحجاب: حدثتني هنيدة امرأة إبراهيم أن إبراهيم كان يصوم يومًا ويفطر يومًا.

قال الأعمش: ربما رأيت إبراهيم يصلي ثم يأتينا فيمكث ساعة كأنه مريض.

قال مغيرة: رأيت إبراهيم يرخي عمامته من ورائه.

قدم حماد بن أبي سليمان البصرة فجاءه فرقد السبخي وعليه ثوب صوف، فقال له: ضع عنك نصرانيتك هذه، فلقد رأيتني ننتظر إبراهيم فيخرج عليه معصفرة ونحن نرى أن الميتة قد حلت له، يعني أنه لا يظهر البؤس والحاجة.

عن مغيرة قال: قيل لإبراهيم: قتل الحجاج سعيد بن جبير، قال: يرحمه الله، ما تُرِكَ بعده خَلَفٌ، قال: فسمع بذلك الشعبي، فقال: هو بالأمس يعيبه بخروجه على الحجاج، يقول اليوم هذا؟ فلما مات إبراهيم قال الشعبي: ما تُرك بعده خَلَفٌ. قلت: نعم يعيب عليه الخروج على الأمير وإن كان ظالمًا؛ لأن هذا خلاف الحق والسنة، ويمدحه لما عنده من علم وعمل غير هذا، والله أعلم.

عن عاصم قال: تبعت الشعبي فمررنا بإبراهيم فقام له إبراهيم عن مجلسه، فقال له الشعبي: أما إني أفقه منك حيًا، وأنت أفقه مني ميتًا، وذاك أن لك أصحابًا يلزمونك فيحيون علمك.

قال أبو حمزة الثمالي: كنت عند إبراهيم النخعي فجاء رجل فقال: يا أبا عمران، إن الحسن البصري يقول: إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار، فقال رجل: هذا من قاتل على الدنيا فأما قتال من بغى فلا بأس به، فقال إبراهيم: هكذا قال أصحابنا عن ابن مسعود، فقالوا له: أين كنت يوم الزاوية؟ (وقعة بين الحجاج وعبد الرحمن بن الأشعث)، قال: في بيتي، قالوا: فأين كنت يوم الجماجم؟ (كانت بينهما أيضًا). قال: في بيتي، قالوا: فإن علقمة شهد صفين مع علي، فقال: بخ بخ من لنا مثل علي بن أبي طالب ورجاله؟.

قال إبراهيم: كانوا يرون أن كثيرًا من حديث أبي هريرة منسوخ.

قال الذهبي (معلقًا): وكان كثير من حديثه ناسخًا لأن إسلامه ليالي فتح والناسخ والمنسوخ في جنب ما حمل من العلم عن النبي ﷺ نزر... وكان من أئمة الاجتهاد ومن أهل الفتوى رضي الله عنه، فالسنة الثابتة لا ترد بالدعوى. اهـ. أي بدعوى النسخ لها.

قال مغيرة: كان إبراهيم إذا طلبه إنسان لا يحب لقاءه خرجت الجارية فقالت: اطلبوه في المسجد.

وعن مغيرة عن إبراهيم قال: الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم بدعة.

قلت: وقد أصاب في ذلك، فلم يثبت في حديث أن جهر النبي ﷺ، فقد روى أحمد والترمذي بسند حسن عن ابن عبد الله بن مغفل قال: سمعني أبي وأنا أقول: بسم الله الرحمن الرحيم فقال: أي بني إياك والحدث فقد صليت مع النبي ﷺ ومع أبي بكر ومع عمر ومع عثمان فلم أسمع أحدًا منهم يقولها فلا تقلها إذا صليت، فقل الحمد لله رب العالمين.

قيل: إن إبراهيم لما احتضر جزع جزعًا شديدًا فقيل له في ذلك، فقال: وأي خطر أعظم مما أنا فيه، أتوقع رسولاً يردُ عليّ من ربي إما بالجنة وإما بالنار، والله لوددت أنها تلجلج في حلقي إلى يوم القيامة.

وفاته: توفي رحمه الله سنة ست وتسعين وله تسع وأربعون، وقيل: ثمان وخمسون. والله أعلم.

المراجع:

-سير أعلام النبلاء.
-حلية الأولياء.
-تهذيب الكمال.
-تقريب التهذيب.

كيف نفهم عقيدة السلف؟

بقلم د: محمود عبد الرازق
الأستاذ المساعد بكلية الشريعة وأصول الدين جامعة الملك خالد

•• الحلقة الثانية ••

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد.: في العدد الماضي تحدثنا عن القاعدة الأولى التي نفهم من خلالها عقيدة أهل السنة والجماعة، ونواصل الحديث في هذا العدد بذكر القاعدة الثانية.

القاعدة الثانية: التي نفهم من خلالها العقيدة الصحيحة التي كان عليها سلفنا الصالح، أن جملة الرسالة التي نزلت من الله إلى رسوله ﷺ تمثلت في القرآن وما ثبت في السنة المطهرة، وقد تلقاها النبي ﷺ عن طريق الوحي وعلى أشكاله المختلفة كما قال سبحانه: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (٢) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ [النجم: ١- ٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١]، فتحددت بالآية وسائل خطاب الرسل مع ربهم.

١- الوسيلة الأولى: الوحي من خلال الرؤيا في المنام، كما أوحى الله لإبراهيم بذبح ولده إسماعيل عليهما السلام: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢]، وهذه الرؤيا للأنبياء وحي، ولغيرهم مبشرات، لكن لا قيمة لها في إثبات الأحكام أو إلزام النفس أو إلزام الغير بمقتضاها، لما روي عند البخاري من حديث أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لم يبق من النبوة إلا المبشرات»، قالوا: وما المبشرات يا رسول الله؟ قال: الرؤيا الصالحة، وعند الترمذي، وقال: حسن صحيح من حديث أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي، ولا نبي، قال: فشق ذلك على الناس، فقال: لكن المبشرات، قالوا: يا رسول الله وما المبشرات؟ قال: رؤيا المسلم وهي جزء من أجزاء النبوة»، فمن وسائل خطاب الرسل من ربهم الوحي من خلال الرؤيا في المنام.

٢- الوسيلة الثانية: من وسائل خطاب الرسل من ربهم الوحي عن طريق الكلام الإلهي المباشر من وراء حجاب بدون واسطة يقظة، كما كلم الله موسى عليه السلام فقال: ﴿وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وقال أيضًا: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

٣- الوسيلة الثالثة: من وسائل خطاب الرسل من ربهم الوحي عن طريق الكلام الإلهي غير المباشر بواسطة إرسال أمين الوحي جبريل، وله في كيفية التبليغ إحدى حالتين، وردتا عند الإمام البخاري من حديث الحارث بن هشام رضي الله عنه لما سأل رسول الله ﷺ فقال :يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ : أحيانًا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليَّ فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانًا يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول، قالت عائشة رضي الله عنها: ولقد رأيتهُ ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقًا».

ثم انقطع الوحي بعد ذلك، فلا ينزل على أحد من البشر إلى يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، فمن ادعى الاتصال المباشر في الخطاب من الله تحت أي تأويل أو مسمى ليجعل كلامه مقبولاً بين الناس، أو حاول أن يضفي القدسية على كلامه بادعائه أن ما يقوله أو ما يكتبه إنما تلقاه بطريق من طرق الوحي السابقة، فقد تجاوز أصول القرآن والسنة وسعى في هدمها، كقول القائل من الصوفية:

«أخذتم علمكم من ميت عن ميت، وأخذنا علمنا من الحي الذي لا يموت، يقول أمثالنا: حدثني قلبي عن ربي، وأنتم تقولون: حدثني فلان وأين هو؟ قالوا: مات، عن فلان، وأين هو؟ قالوا: مات». أو كادعاء ابن عربي أن كتاب الفصوص أخذه من يد رسول الله ﷺ مكتوبًا من اللوح المحفوظ، وهو مجرد ناقل أمين بلا زيادة أو نقصان، كما قال: «فحققت الأمنية، وأخلصت النية، وجودت القصد والهمة إلى إبراز هذا الكتاب، كما حده لي رسول الله ﷺ من غير زيادة ولا نقصان».

وقوله أيضًا: «فاقتصرت على ما ذكرته من هذه الحكم في هذا الكتاب على حد ما ثبت في أم الكتاب، فامتثلت ما رسم لي ووقفت عندما حد لي ولو رمت زيادة على ذلك ما استطعت، فإن الحضرة تمنع من ذلك».

لاحظ أن ابن عربي يشبه نفسه بالرسول ﷺ في دقة البلاغ عن الله وخوفه من الوعيد الذي ورد في قوله تعالى عن نبيه ﷺ: ﴿ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٣) وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾ [الحاقة: ٤٣- ٤٧].

أو كما قال عبد الكريم الجيلي يحاكي طريقة الوحي في التجلي الصوفي: «يتجلى الحق سبحانه وتعالى على العبد، بتجلٍ يسمع فيه صلصلة الجرس، ويسمع تصادم الحقائق بعضها مع بعض، فيجد لها أطيطًا يملأ ما بين السماء والأرض، ثم إذا تقوى وثبت لسماع ذلك، يترقى ويسمع صلصلة الجرس عند رفع الستر».

كل ذلك وأمثاله تهوين لحرمة الدين، وانتهاك مقبوح مشين، انتهاك للثوابت المستقرة في اعتقاد المسلمين، ويمكن أن يجوزه بعض المدافعين عن الصوفية من باب المخاطبات الروحانية والمحادثات الإيمانية، عند المكاشفات والتجليات التي تحدث لبعض الصوفية في شطحاتهم، فنقول له: هذا باب مفتوح على مصراعيه للمغرضين والحاقدين، ويكفي العاقل أن يقف على نظرة المستشرقين للوحي عند المسلمين، وكيف وجدوا في مثل ذلك سبيل الخلط بين الوحي وترهات الصوفية. والله أعلم.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى

علاج النبي ﷺ للمحبين بعد رمضان

بقلم/ متولي البراجيلي

الحمد لله الذي أكمل لنا الدين وأتم علينا النعمة ورضي لنا الإسلام دينا، ونصلي ونسلم على صفوة رسله وإمام أنبيائه وأصفيائه نبينا محمد ﷺ وبعد:

رمضان أسرع قادم وأسرع ذاهب، فإن شهور السنة وهي جزء من عمر الإنسان تمرُّ مرَّ السحاب، ولا نشعر بذلك إلا بقدوم رمضان ورحيله، نظل طوال العام نرجو وندعو الله أن نبلغه، فإذا ما بلغناه وسررنا به، آذننا بالرحيل، وصدق الله عز وجل ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾.

وإن من أعظم الكبد مرور السنوات، وتبدل الأحوال، بين شيب وشباب وصحة ومرض، وغنى وفقر ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾.

فإنًا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرنا في مصيبتنا في رمضان واخلفنا خيرًا منها.

وإذا نظرنا في حالنا في رمضان وجدنا الناس صنفين رئيسين، وبينهما أصناف تتفاوت قربًا وبعدًا، هذان الصنفان كعبدين لسيدٍ واحد، أحدهما طائع مقبل، والاخر عاصٍ مدبر، فالعبد الأول إذا ما كلفه سيده بعمل أتى به على الوجه الأكمل، بمحبةٍ وتفانٍ، يرجو أن يُكلَّف بعمل آخر.

والعبد الآخر يأتي بالعمل وهو كاره له، يؤديه كيفما اتفق، يصل إلى نهايته بشقٍّ النفس، ويتمنى ألا يُكلّف بعمل جديد.

وهذا العبد الثاني هو نموذج للصنف الثاني في رمضان، يصوم صوم عادة لا عبادة، لا يقلع عن المعاصي في نهار رمضان فضلا عن ليله، وإنك لتعجب من هؤلاء الذين يُجوِّعون أنفسهم في نهار رمضان، وألسنتهم وأعينهم وأيديهم وأرجلهم تعمل في معصية الله، والنبي ﷺ يقول: «من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه». [صحيح البخاري]

وهؤلاء مغبونون في تجارتهم مع الله، يضيِّعون رأس مالهم وهي أيامهم هباءً منثورا، وفي الحديث: «... كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها». [صحيح مسلم]

وفي الحديث: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ».

وفي الحديث: «اغتنم خمسًا قبل خمس، شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك». [شرح السنة للبغوي وهو في صحيح الجامع بنحوه]

أما الصنف الأول فهو الذي يحاول أن يحقق التقوى في رمضان كما أمره الله، يصوم صوم عبادة ويتمنى أن تكون السنة كلها رمضان، يحزن لمرور أيامه، ويفجع إذا آذن الشهر بالرحيل، ولهؤلاء نقول: يا أخي لا

تحزن فالرسول ﷺ عالج المحبين بعد مرور شهر رمضان، فمدَّ وشائج القربى بيننا وبين شهر القرآن.

فما رمضان إلا صيام، وقيام، وقرآن، وتقوى.

فإن كنت حزينًا على الصيام، فقد سنَّ لك النبي ﷺ الصيام على مدار العام، بداية من شوال ووصولا إلى شعبان، فلم تُحرم الصيام.

- سنَّ لك الستة الأيام من شوال وبيَّن لك فضلها، فقال ﷺ: «من صام رمضان، ثم أتبعه ستًا من شوال، كان كصيام الدهر». [مسلم وغيره]

فبإمكانك أن تعاود الصوم من ثاني أيام العيد، متصلات أو منفصلات، وإن كان الأفضل المسارعة إلى الطاعة من باب ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾.

- وسنَّ لك صيام يوم عرفة، وعاشوراء ويومًا قبله، فقال: «... صيامُ يوم عرفة، أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله». [صحيح مسلم]

ولما قيل له يا رسول الله ﷺ إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى «يوم عاشوراء» فقال رسول الله ﷺ: «فإذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا اليوم التاسع، فلم يأت العام المقبل، حتى توفي رسول الله ﷺ. [صحيح مسلم]

- وحثَّ ﷺ على صيام أكثر المحرم، فقال: «أفضل الصيام، بعد رمضان، شهر الله المحرم...» [صحيح مسلم].

- وكان يصوم أكثر شعبان، فتقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «... وما رأيت النبي ﷺ استكمل صيام شهرٍ إلا رمضان، وما رأيته أكثر صيامًا منه في شعبان». [متفق عليه]

- وكان يصوم الاثنين والخميس، ولمَّا سُئل عن ذلك، قال: «إن أعمال العِباد تعرض يوم الاثنين والخميس» [صحيح أبي داود]

- وسنَّ صيام ثلاثة أيام من كل شهر:

«... فعن عبد الله بن عمرو قال: قال لي رسول الله ﷺ: «صم من كل شهر ثلاثة أيام فإن الحسنة بعشر أمثالها، وذلك مثل صيام الدهر...» [متفق عليه].

ويستحب أن تكون في أيام الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر لورود ذلك في حديث النبي ﷺ عندما قال لأبي ذر: يا أبا ذر، إذا صمت من الشهر ثلاثة أيام فصم ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة». [صحيح ابن ماجه].

ولا يشترط أن تكون في هذه الأيام، ففي صحيح مسلم عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لما سئلت: أكان الرسول يصوم من كل شهر ثلاثة أيام؟ قالت: نعم.

وسئلت من أي الشهر كان يصوم؟ قالت: لم يكن يبالي من أي الشهر يصوم.

- ومدح صيام داود عليه السلام، فقال ﷺ: «أحب الصيام إلى الله صيام داود كان يصوم يومًا ويفطر يومًا..» [متفق عليه].

هذا عن الصيام، أمَّا عن القيام، فهذا دأب النبي ﷺ طوال العام ومن خصائص المتقين ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٥) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الذاريات: ١٥، ١٨].

حثَّ عليه النبي ﷺ فقال: «عليكم بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم، ومقربة إلى ربكم، ومكفرة للسيئات، ومنهاة عن الإثم» [تمام المنة للألباني].

وهو شرف المؤمن، فعن رسول الله ﷺ قال: أتاني جبريل فقال: يا محمد عِش ما شئت فإنك ميت، واحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزى به، واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل، وعزَّه استغناؤه عن الناس» [السلسلة الصحيحة].

وقال ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص: «يا عبد الله، لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل» [متفق عليه].

وقال عن عبد الله بن عمر في الرؤيا التي رآها:

«نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل» فكان بعدُ لا ينام من الليل إلا قليلا. [البخاري].

- أما عن القرآن، فهذا ديدنك طوال العام، فهل لا يُقرأُ القرآن إلا في رمضان وبعد ذلك نتخذه مهجورًا، إن القرآن كلام الله، كتاب حياة المسلم صباحه ومساءه، فضل قراءته عميم، وثوابه عظيم، تضاعف لك الحسنات أضعافًا مضاعفة كلما قرأت فيه، قال ﷺ: «من قرأ حرفًا من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها لا أقول: ألم حرف، ولكن: ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف» [صحيح سنن الترمذي].

والله تعالى يرفع بالقرآن أقوامًا، كما بالحديث: أن النبي ﷺ قال: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين». [صحيح مسلم]

القرآن يجعلك طيب المظهر والجوهر، ففي الحديث قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة: ريحها طيِّب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة: لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة: ريحها طيب وطعمها مرٌّ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة: ليس لها ريح وطعمها مر» [متفق عليه] [الأترجة: فاكهة حلوة الطعم حلوة الرائحة لها منظر جميل كالتفاح].

- أما تقوى الله عز وجل التي جعلها الله علة الصيام: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣].

فقد وردت في القرآن بمادتها في قرابة ثلاثمائة موضع من آياته حتى يمكن أن يقال أنها الغاية من الإسلام.

كان النبي ﷺ يفتتح بها خطبه، حاثًا عليها، آمرًا بها (خطبة الحاجة)، آثارها عظيمة في الدنيا والآخرة، يقول الله تعالى: ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا ويقول تعالى: ومن يتق الله يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب.

وبالتقوى تتحقق معية الله (وهي معية خاصة إضافة للمعية العامة).

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾.

وهي سبيلك للفوز بالجنة ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ﴾. ونجاتك من النار ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًا * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾.

أمر بها النبي ﷺ في كل وقت وكل مكان، فقال: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن» [صحيح الجامع].

ولما جاءه رجل وطلب منه الوصية لأنه يريد السفر، فقال: يا رسول الله! إني أريد سفرًا فزوِّدني، قال: زودك الله التقوى...» [صحيح الترمذي].

ولما وعظ رسول الله ﷺ أصحابه بعد صلاة الغداة (الفجر) موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال رجل: إن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا يا رسول الله؟ قال: أوصيكم بتقوى الله...» [صحيح الترمذي].

وهكذا أخي المحب الحزين لمرور شهر رمضان، في هدي نبيك ﷺ شفاء همك وغمك.

وربُّ رمضان هو ربُّ سائر العام، يحب أن يطاع ويكره أن يُعصى، فكن حيث أمرك وانته عما نهاك.

ولك في النبي ﷺ الأسوة الحسنة، فكان إذا فرغ من عبادة سارع إلى غيرها ممتثلا أمر ربه ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ﴾ [الشرح:٧].

وقد أمره ربه عز وجل بدوام العبادة حتى الموت ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [إبراهيم:٩٩].

والحمد لله رب العالمين.

الصيام بعد رمضان

إعداد: أحمد يوسف

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين... وبعد:

فإن مما لا يخفى على كثير من الناس أن الآجال محدودة ومقدرة عند الله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس: ٤٩].

وللناس في دنياهم من الدروس والعبر الكثير، فموت الأحباب والإخوان ومرور الأيام والأزمان فيه إنذار لهم بأنهم يومًا ما راحلون كما رحل أسلافهم وكما انتهت أيامهم: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٧]، وما على العاقل إلا أن يزود نفسه للقاء الله تعالى بخير ما يُتزوَّد به: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البقرة: ١٩٧]، وإن من أفضل الأعمال التي تتحقق بها التقوى الصيام: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

والصيام سبب عظيم للوقاية من عذاب الجحيم، وفي الحديث عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يصوم يومًا في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفًا». البخاري ومسلم.

كما أن الصيام تدريب على الاستقامة على الأخلاق الحميدة، يظهر ذلك من الحديث الآتي:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني صائم». البخاري ومسلم.

والصيام ليس معناه جوعًا وعطشًا لكنه صيام عن كل ما يوقع الإنسان في الذنوب، ففي حديث البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه».

لذا فإن المسلم الحق لا تنقطع علاقته بالصيام بعد شهر رمضان، فهدي رسول الله ﷺ إتباع شهر رمضان بستة أيام من شوال، فعن أبي أيوب رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «من صام رمضان ثم أتبعه ستًا من شوال كان كصيام الدهر». [مسلم].

وها هو فضل الله على عباده في الصيام من شهر الله المحرم. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول اللَّه ﷺ: «أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل». [مسلم].

وهذه دعوة لغسل ذنوب عام كامل. فعن أبي قتادة أن رسول الله ﷺ سُئِل عن صيام يوم عاشوراء، فقال: «يكفر السنة

الماضية». [مسلم].

بل يزداد فضل الله على عباده، ففي صيام يوم واحد كفارة ذنوب عامين، عن أبي قتادة رضي الله عنه سُئل رسول الله ﷺ عن صيام يوم عرفة، فقال: «يكفر السنة الماضية والباقية». [مسلم].

وفي الحديث المتفق عليه قول أبي هريرة رضي الله عنه: أوصاني خليلي ﷺ بثلاث؛ صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وصلاة الضحى، وأن أوتر قبل أن أنام.

ومن رواية عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «صوم ثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر كله». [متفق عليه].

وهذه دعوة لصيام الأيام التي تعرض فيها الأعمال. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس، فأحب أن يُعرض عملي وأنا صائم». [رواه الترمذي وقال: حديث حسن].

وفي صحيح مسلم عن أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سُئل عن صوم يوم الاثنين، فقال: «ذلك يوم وُلدت فيه، ويوم بعثت، أو أُنزل عليَّ فيه».

أخي المسلم الكريم: اسأل الله تعالى ألا تنقطع علاقتك بالصيام بعد رمضان، وألا يكون انتهاء رمضان هو آخر عهدك بالصيام.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من المتقين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

هل تريد حفظ القرآن؟

أخي الحبيب:

هذا السؤال نطرحه على أبناء العالم الإسلامي وذلك لأن حفظ القرآن يشكل صعوبة لكثير من الناس وذلك لصعوبة حفظه وتفلته السريع لذلك نحن نقدم لك الإجابة على هذا السؤال: طريقة للحفظ ميسرة وفي متناول الجميع ألا وهي:

حفظ ربع واحد في الأسبوع

أخي الحبيب:

لا تقل إن حفظ ربع واحد في الأسبوع قليل فإن أحب الأعمال إلى الله عز وجل أدومها وإن قل.

وتذكر أن: السفينة في البحر تستطيع أن تقطع مسافة الألف ميل بمجرد أن تبدأ من الخطوة الأولى.

أخي الحبيب:

دعني أهمس في أذنك أنك قد تستطيع حفظ هذا الربع في ساعة بعد صلاة الفجر أو بعد صلاة العصر أو ما بين المغرب والعشاء ولكن نحن نراعي هنا الاستمرار في الحفظ لأن عدم الاستمرار في الحفظ هو المشكلة التي وصلت إلينا في جميع أنحاء العالم الإسلامي.

أخي الحبيب:

لا يخفى عليك أن هذا البرنامج الأسبوعي للحفظ حَلَّ مشكلةَ صعوبةِ حفظِ القرآن وأثبت نجاحه وانتشاره بين من يريد حفظ القرآن بشكل لم يسبق له مثيل مما استدعى نشر هذا الحل بالبريد الجوي والبريد الالكتروني والفاكس ونشره على المواقع المختلفة بشبكة الإنترنت ليصل إلى كل أنحاء العالم.

أخي الحبيب:

بعد أن تحس حلاوة حفظ القرآن علِّمْ هذا لكل أفراد الأسرة وأعد تصوير هذه الرسالة وقدمها هدية لمن تتوسم فيه رغبة حفظ القرآن فستجد الكل يتسابق بشكل لم تتخيله أنت لسهولة التنفيذ.

أخي الحبيب:

لم نذكرك بأحاديث رسول الله ﷺ: في فضل حفظ القرآن وقراءته والعمل به لأنك تعلمها جيدا بل ومن السهولة الرجوع إليها ولكن نذكرك هنا بحل مبسط للمشكلة لتعيش مع القرآن عيشة السعداء.

أخي الحبيب:

سؤال: احسب معنا لو أتممت بتوفيق الله عز وجل حفظ ربع في الأسبوع فكم سنة تحتاج لتنتهي من حفظ القرآن كله؟؟؟

[المملكة العربية السعودية / الرياض / الإذاعة / برنامج نور على الدرب].

أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه

بقلم: حسن البنا

بسم الله

والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

إن من سمات الفرقة الناجية تعلم العلم النافع على أيدي من سبقوهم بالإيمان من أهل السنة والجماعة ثم الاتباع بإحسان، فهم لا يبتدعون في الدين، ومما يؤسف له أن كثيرًا من المسلمين- إلا من رحم الله- يعتبرون أنفسهم من أهل السنة، وهم ليسوا كذلك على الحقيقة.

وأهل السنة- مع تحريهم للمنهج الصحيح- يعجبون ممن ينتقدونهم في الأصول فضلاً عن الفروع، مع أن في الفروع سعة مع الترجيح بالأدلة.

لا تعجبوا إخواني فإن بعضهم قد اجتمعوا تحت اسم الإسلام (الذي فهموه) وهم في الواقع تفرقوا تحت اسم الإسلام كذلك شيعًا وأحزابًا كل حزب بما لديهم فرحون، وذلك على مستوى الأفراد والأسر والجماعات في الدولة الواحدة، وفي الدول الإسلامية.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾، يرى المسلم والمسلمة الجماعات ولها أسماء تملأ العين فيفرح لها كتجمعات إسلامية، ويحاول الاقتراب للمؤاخاة والبر بالمسلمين ولجمع الكلمة؛ فإذا حاول التطبيق لمذهب أهل السنة والجماعة في إحدى الجماعات في الأصول- وجد الجماعة بعيدة عنها أو مُلَبَّسًا عليها في بعض الأصول- فإذا حاول النصح لهم قاموا في وجهه متهمين إياه بتفرقة الأمة، لأنهم فهموا أن الإسلام يقوم على أساس توحيد الربوبية ثم مكارم الأخلاق، دون أن يفهموا العقيدة التي دعا إليها الرسل جميعًا وخاتمهم محمد ﷺ كتوحيد العبادة وتوحيد الأسماء والصفات فضلاً عن توحيد الربوبية على مذهب سلف الأمة من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وتابعي التابعين والأئمة الأربعة رحمهم الله، ومن سار على هديهم، وهي العقيدة الفريدة التي لم يختلفوا فيها طوال القرون المفضلة وهي القرون الثلاثة الأولى. ثم انشق البعض فغيروا وبدلوا في الأصول، وظهرت- بتزيين شياطين الإنس والجن- الفرق المخالفة لأهل السنة والتي نبأ بها الرسول ﷺ وحذر منها كما جاء في الحديث الصحيح بافتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة- برواية الترمذي وغيره- فمن هي الفرقة الناجية؟ وهذا السؤال جوابه في الحديث نفسه؛ ألا وهم الجماعة الذين هم على مثل ما كان عليه الرسول ﷺ وصحابته الكرام رضي الله عنهم، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

والعجب كل العجب أن ترى بعض الأشياخ إذا طلب منهم المفاصلة والمباينة للتميز عن الفرق المخالفة والذين ذكر أهل الحديث صفاتهم بعقائدهم المخالفة لعقيدة أهل السنة والجماعة- في الأصول- يقولون: «كل الفرق وكل

الجمعيات على هدى»، فهم يريدون بذلك أن يجمعوا بين الشيء ونقيضه، فمثلاً أهل السنة يثبتون صفات الله تعالى كما جاءت في القرآن العظيم وما صح من أحاديث الرسول ﷺ في حين أن غيرهم من الفرق الحادثة يؤولون الصفات ويحرفون كذلك ألفاظها ومعانيها فضلاً عن تغاضيهم والتماس الأعذار لفئام من الأمة يدعون غير الله مع الله، ويسارعون إلى قبورهم في الملمات والاحتفال بموالدهم مع تقديم القرابين والاستشفاع إلى الله بذواتهم وهم قد ماتوا، وهذه الأعمال كان يمارسها المشركون، قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاَءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

هذا فضلاً عن انتقاد هؤلاء للذين يتمسكون بالقرآن والسنة في أخذ أحكام دينهم مسترشدين بعلم الأئمة من أهل السنة والجماعة، قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾.

ولا يفوتنا أن نذكر أنفسنا وإخوتنا الذين يختلفون معنا ويدعوننا إلى التغاضي عن التركيز على توحيد العبادة وتوحيد الأسماء والصفات مع توحيد الربوبية بأن يجتمعوا معنا على كلمة سواء بيننا وبينهم محكمَيْن الكتاب والسنة على مذهب سلف الأمة، ولا يوجهون الاتهام إلى السائرين على المذهب الحق يبغون وجه الله ثم جمع الأمة تحت لواء الإسلام، ولا يصفونهم بالسطحيين وبأن في قلوبهم زيغًا لأنهم يتبعون المتشابهات ابتغاء الفتنة وادعاء المعرفة.

وكما يصفون المؤمن منهم بتوحيد العبادة بأنه وهابي وأنه يكره الأولياء؛ لأنه لا يستغيث بهم ولا يلجأ إلى قبورهم في الملمات ويعكف عند قبورهم ويقيم لهم الموالد، إلى غير ذلك من الصفات.

ونحن ندعو كل مسلم يختلف معنا للتحاكم إلى الكتاب والسنة في هذا النزاع امتثالاً لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾، إن هذه الصفات التي ذكرها البعض هدانا الله وإياهم لما اختلف فيه من الحق بإذنه؛ إن اجتمعت في شخص أو بعضها فإنه لا شك في كونه جاهلاً بمذهب الفرقة الناجية الذين لا يتبعون ما تشابه منه، وهل الإخبار عن الله تعالى من المتشابهات؟ ثم هل في الخبر الذي لا يحتمل التأويل قولان؟ ثم أليس الإيمان بصفات الله تعالى كما جاءت في القرآن الكريم وصحيح السنة المطهرة من الأصول؟ وهل نشر علمها بين المسلمين يعتبر فضيلة؟.

إن من يدعون إلى الإيمان بالأصول ثم الفروع لا يشكون ولا يرتابون في عقائد الآخرين إلا إذا أعلن الآخرون المخالفة للقرآن وصحيح السنة، وأهل السنة حريصون على هداية الجميع للمنهج الحق بحكمة وبرفق حرصًا على جمع الأمة على مذهب الفرقة الناجية.

ثم هل الاختلاف في الأصول يُترك ويُهمل حتى يستفحل مسايرة للمخالفين لعقيدة الفرقة الناجية وخشية أن يغضب البعض؟ وكذلك نلاحظ أن كلام المعترضين عام، ولا بد فيه من التفصيل وذكر أمثلة لخلافهم مع المؤمنين بصفات الله كإيمان السلف الصالح حتى نعرف أمن الأصول هو أم من الفروع؟ فالعموميات لا تفيد شيئًا في هذا المجال.

ثم إلى متى يستمر العلماء في الحذر من وضع كل شيء في نصابه الشرعي بالرد إلى الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة لا بفهم خلف الأمة، وقد أصاب القائل في قوله:

وكل خير في اتباع من سلف
وكل شر في ابتداع من خلف

نسأل الله تعالى أن يؤلف بين القلوب على طاعته وطاعة رسوله ﷺ، حتى يعود للأمة وحدتها تحت لواء عقيدة أهل السنة والجماعة، إن ربنا قريب سميع الدعاء، ولله الأمر من قبل ومن بعد، والحمد لله أولاً وأخرًا، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه.

واحة التوحيد..

من نور كتاب الله

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل:٩٠].

من هدي رسول الله ﷺ

قال ﷺ: «من صام رمضان ثم أتبعه ستًا من شوال كان كصيام الدهر» [مسلم (١١٦٤)]

من أقوال السلف

قال ابن عون: ثلاث أحب لنفسي ولإخواني: هذه السنة أن يتعلموها ويسألوا عنها، والقرآن أن يتفهموه ويسألوا عنه، ويدعوا الناس إلا من خير. [شرح السنة للبغوي ٢٠٩/١]

قال ابن المبارك: الإسناد من الدين، لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء. [شرح السنة للبغوي ٢٤٤/١].

قال سفيان الثوري: من سمع بدعة فلا يحكها لجلسائه، ولا يُلْقِها في قلوبهم [شرح السنة للبغوي /٢٧٧]

من وصايا السلف

قال رجل لعبد الله بن مسعود علمني كلمات جوامع نوافع، فقال: لا تشرك به شيئًا وزُل مع القرآن حيث زال، ومن جاءك بالحق فاقبل منه وإن كان بعيدًا بغيضًا، ومن جاء بالباطل فاردده عليه وإن كان قريبا حبيبًا.

[شرح السنة للبغوي ٢٤٣/١]

من أخلاق السلف

قال عبد الرحمن بن مهدي: «كنا نأتي الرجل ما نريد علمه، ليس إلا أن نتعلم من هديه وسمته ودلّه» [الآداب الشرعية ٢٤٩/٢]

حكم ومواعظ

قال ذو النون المصري: من خان الله في السر هتك الله ستره في العلانية. [الداء والدواء ص٦٠]

قال أبو سليمان الدّاراني: «أصل كل خير في الدنيا والآخرة الخوف من الله عز وجل.

وكل قلب ليس فيه خوف فهو قلب خرب.

[التخويف من النار ص١٤٢]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - الخوف المحمود: ما حجزك عن محارم الله [مدارج السالكين (٥٥/١)]

الإسلام أصول وفروع

قال البغوي: العلوم الشرعية قسمان: علم الأصول، وعلم الفروع، أما علم الأصول، فهو معرفة الله سبحانه وتعالى بالوحدانية والصفات، وتصديق الرسل، فعلى كل مكلف معرفته ولا يسع فيه التقليد لظهور آياته ووضوح دلائله، قال تعالى: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ﴾ [محمد:١٩]، وأما علم الفروع فهو علم الفقه ومعرفة أحكام الدين فينقسم إلى فرض عين وفرض كفاية، أما فرض العين فمثل علم الطهارة والصوم والصلاة فعلى كل مكلف معرفته، وكذلك كل عبادة أوجبها الشرع على كل واحد فعليه معرفة علمها مثل علم الزكاة إن كان له مال وعلم الحج إن وجب عليه وأما فرض

الكفاية فهو أن يتعلم ما بلغ به رتبة الاجتهاد ودرجة الفتيا. [شرح السنة للبغوي ١/٢٩٠]

أهل السنة والجماعة

تفسير الجماعة عند أهل العلم: هم أهل الفقه والعلم.

وسئل ابن المبارك عن الجماعة فقال: أبو بكر وعمر، فقيل له: قد مات أبو بكر وعمر، فقال فلان وفلان، فقيل: قد مات فلان وفلان، قال ابن المبارك: أبو حمزة السكري جماعة، وهو من أهل العلم والفضل روى له الجماعة. [شرح السنة للبغوي ١/٢١٦]

مخالفات تقع فيها النساء

الخروج صبيحة العيد لزيارة المقابر وتوزيع طعام مخصوص يقولون عنه إنه رحمة ونور، وهذا جهل وضلال كبير، فإن العيد شرع حتى ليفرح المسلم لا أن يتذكر أقاربه من الأموات في ذلك اليوم، فإن هذا يعيد عليه الأحزان ويكدر عليه فرحة العيد.

متناقضات في حياتنا

أن نستثقل خمس دقائق في المسجد انتظارًا لإقامة الصلاة أو إطالة الصلاة أحيانًا لمن يقدر على ذلك وليس هناك ما يشغله من أعمال أو مصالح.

ولا نستثقل (تسعين) دقيقة من متابعة مباراة رياضية أو مثلها في مشاهدة مسلسل لا نفع فيه ولا خير.

أخطاء في العقيدة والتوحيد
الحلف بغير الله

وهو من الشرك بالله لقول النبي ﷺ: «من حلف بغير الله فقد أشرك» وهو شرك أصغر بمعنى أنه لا ينقل عن الملة ولكن يأثم فاعله مع العلم. والحالف بغير الله كأن يحلف بالكعبة وبالنبي أو بابنه أو بأمه أو بأي شيء فإنه قد عظم هذا المحلوف به وهذا التعظيم لا يصرف لغير الله لأنه هو العظيم وهذه من الأمور المنتشرة بين الأمة، فليحذر ولينته من كان حالفًا بغير الله.

من درر العلماء في الصفات

قال اسحق بن راهويه: قال لي الأمير عبد الله بن طاهر: يا أبا يعقوب؛ هذا الحديث الذي ترويه عن رسول الله ﷺ ينزل ربنا عزَّ وجلَّ شأنه كل ليلة إلى السماء الدنيا، كيف ينزل؟ قال: قلت: أعزَّ الله الأمير، لا يقال لأمر الرب عزَّ وجلَّ كيف، إنما ينزل بلا كيف ومن قال يخلو العرش عند النزول أو لا يخلو فقد أتى بقول مبتدع ورأي مخترع. [كتاب عقيدة الحافظ المقدسي ص٨]

ما الجُود؟!

سأل معاوية صعصعةَ بن صُوحان: ما الجود؟ فقال: التبرّع بالمال، والعطيّة قبل السؤال.

قال ابن عبد ربه:

كَريمٌ على العِلاتِ جزْلٌ عَطاؤهُ
يُنِيلُ وإن لم يُعْتَمدْ لِنَوالِ
وما الجُودُ مَن يُعطي إذا ما سألتُهُ
ولكنَّ مَن يُعطي بغيرِ سُؤَالِ

كيف تطلب الحوائج؟

دخل أبو حازم الأعرج على بعض أهل السلطان فقال: أتيتك في حاجة رفعتُها إلى الله قبلك، فإن أذن الله في قضائها قضيتَها وحمدناك، وإن لم يأذن في قضائها لم تَقْضِها وعذرناك.

من روائع الماضي

توحيد الله عز وجل «العبادات المالية»

بقلم: د. محمد خليل هراس رحمه الله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

من تمام الكلام على توحيد الإلهية الكلام عن العبادات المالية التي تعبدنا الله بها في أموالنا من الصدقات والذبائح والنذور ونحوها، وهذا النوع من العبادات قد دخله من ألوان الشرك وصوره ما يصعب حصره.

فإن كثيرًا من الناس يجهلون أن لله عليهم عبادة في أموالهم التي هي من رزقه وفضله، وقد لبس عليهم الشيطان في أمرها كما لبس عليهم في غيرها بل أشد، فألقى في روعهم أن هذه الأموال إنما سيقت إليهم ببركة الشيخ «فلان»، أو بسبب دعائه وشفاعته، وإنه هو القائم على حراستها وتنميتها فهي ستبقى ما بقي الشيخ راضيًا وهو لا يرضى طبعًا حتى يجعلوا له في هذه الأموال نصيبًا مفروضًا، فتراهم ليسوا على شيء أحرص منهم على سوق هذه الأموال من النذور الذبائح إلى أضرحة هؤلاء المشايخ، وعلى شهود المهرجانات الشركية التي تقام لهم.

وإذا سولت لأحدهم نفسه أن يأكل النذر الذي نذره لواحد من هذه الأضرحة فإنه يبقى طيلة عامه متوقعًا للمصائب تحيق به على يد الشيخ صاحب النذر لا سيما إذا كان الشيخ غضوبًا كما تزعمه العامة في (أبي العينين الدسوقي)، فإذا جرى على هذا الآكل للنذر شيء من قدر الله عز وجل، من فقد مال، أو ولد، أو نحو ذلك، أيقن أن الذي أصابه إنما هو بسبب غضب الشيخ عليه لعدم وفائه بالنذر، وهكذا يعيش هؤلاء التعساء من عباد القبور في هم ناصب وقلق واصب لأنهم لا يدرون مواقع الرضا والغضب من نفوس هؤلاء الموتى وأيهم أحق أن يرضوه، وصدق الله إذ يقول: ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾.

ونرى بعد هذه المقدمة الطويلة أن نكشف للناس عن هذه التلبيسات التي يلبس بها عليهم شياطين الإنس والجن وأن نقول كلمة الحق في هذه المسائل إعذارًا إلى الله عز وجل ليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حي عن بينة، ويكفينا في هذا المجال أن نثبت أن هذه الأمور من جملة العبادات التي يتقرب بها إلى الله سبحانه، فإنه إذا ثبت ذلك علم قطعًا أنه لا يجوز صرفها إلى غير الله كما هو الشرط في سائر العبادات، أما الصدقات فلا يشك مسلم في أنها من أعظم القربات إلى الله عز وجل وقد قرنها الله بالصلاة في كثير من آيات الكتاب الحكيم وجعلها من أعظم خصال الإيمان ووعد عليها بجزيل الثواب، بل وسماها قرضًا ووعد عليه

أضعافًا كثيرة.

ويطول بنا القول لو تتبعنا ما ورد في شأن الصدقة من الآيات والأحاديث وهو أمر معلوم لكل من له إلمام بنصوص الوحيين، ولكن الذي يحتاج للتنبيه عليه هو ما يعرض للصدقة من أعمال تحبطها وتبطل ثوابها وذلك مثل الرياء، والمن بها على الآخذ، والاستطالة بها عليه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لاَ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

ومن ذلك أيضًا أن يتحرى بصدقته الفقراء المجاورين عند الأضرحة لما يلتمسه من بركة أصحابها، وأن يقيم لهم بها موالد أو يشتري لهم بها أستارًا أو بسطًا أو سرجًا أو نحو ذلك مما تزين به هذه الأضرحة ظنًا منه أن تلك قرب يتقرب بها إلى الله عز وجل فلا يزداد بها من الله إلا بعدًا.

وهذه حال كثير من الناس لا يتحرون بصدقاتهم إلا هذه المواضع مما يدل على أنهم لم يقصدوا بها وجه الله بل إنما قصدوا إلى إرضاء أصحاب هذه الأضرحة، بل قد يترك بعضهم الفقراء من ذوي قرابته أو أهل بلده ممن هم أحق بصدقته ويدفعها إلى من لا يستحقها من سدنة هذه الطواغيت والعاكفين عليها، وأما النذر فهو في الأصل غير مشروع بل قد ورد النهي عنه، قال ﷺ: «لا تنذروا فإن النذر لا يقدم شيئًا ولا يؤخره، وإنما يستخرج به من البخيل». ولكنه إذا نذر لزمه الوفاء وصار النذر حينئذ قربة وعبادة لا تنبغي إلا لله، وعلى هذا يحمل قوله تعالى من سورة البقرة: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾، وقوله من سورة الحج: ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾، وقوله من سورة الدهر في صفة الأبرار: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾.

وفي الحديث الصحيح: «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه». وبهذا يتبين أن ما ينذره بعض الجهلة لأصحاب الأضرحة من نقود وشموع ونحوها هو نذر باطل وشرك صريح، وأنه لا يلزم أحدًا الوفاء بهذا النذر إذ لا وفاء لنذر في معصية الله عز وجل.

وقد روي أن رجلاً قال للنبي ﷺ: إني نذرت أن أنحر إبلاً بمكان كذا، فسأل النبي ﷺ عن هذا المكان هل كان فيه صنم يُعبد؟ فقيل: لا. ثم سأل: هل كان يُقام فيه عيد من أعياد الجاهلية؟ فقيل: لا. فقال للرجل: «أوف بنذرك، فإنه لا وفاء بنذر في معصية، ولا فيما لا يملك ابن آدم».

ومن العجيب أنه قد صدرت في هذا الموضوع عدة فتاوى رسمية وأذيعت عنه أحاديث كثيرة كلها مجمعة على بطلان هذه النذور واعتبارها شركًا، ولكن الناس لا يزالون سادرين في غوايتهم ومصرين على ضلالتهم لا يقبلون فيها لومة لائم، وقديمًا قيل: «حبك الشيء يعمي ويصم». وأما الذبح أو النحر فلا يشك مسلم كذلك في أنه عبادة مأمور بها، قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾، والنسك هنا معناه الذبح، وقال في سورة الحج: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾.

وقد أمر الله من تمتع بالعمرة إلى الحج أن يذبح ما استيسر من الهدي، وأوجب على من ارتكب شيئًا من محظورات الإحرام فدية من صيام أو صدقة أو نسك، وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾، فجعل الأمر بالنحر قرين الأمر بالصلاة، وقد ورد أنه ﷺ نحر في حجة الوداع مائة بدنة وأنه كان يضحي يوم عيد الأضحى بكبشين أملحين، ولم تزل الأضحية واجبة على كل قادر عليها من المسلمين، فدل ذلك كله على أن الذبح عبادة يتقرب بها إلى الله عز وجل، وفي الحديث: «أفضل الحج الثج والعج»، والمراد بالثج صب الدماء، وعلى هذا فمن ذبح ذبيحة وأهلَّ بها لغير الله، أو قصد التقرب بذبحها لغيره، أو أطعمها الناس على اسم غيره كهذه الذبائح التي تذبح في مولد البدوي وغيره، فقد أتى عملاً فظيعًا من أعمال الشرك وضاهأ أهل الجاهلية الأولى في ذبحهم لآلهتهم على النصب، وفي الحديث: «لعن الله من ذبح لغير الله».

نسأل الله أن يجنبنا مزالق الشرك كلها، ونستعيذ به أن نشرك به شيئًا ونحن نعلم، ونستغفره لما لا نعلم، وصلى الله على محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

في بلدة من بلاد نجد تسمى (العيينة) ولد محمد بن عبد الوهاب وشب وترعرع وتعلم دروسه الأولى على علماء بلده من الحنابلة، وسافر إلى المدينة ليتم تعليمه، ثم طوف بعد ذلك في كثير من بلاد العالم الإسلامي؛ فأقام نحو أربع سنوات في البصرة وخمسًا في بغداد وسنة في كردستان وسنتين في همذان - ثم رحل إلى أصفهان ودرس هناك فلسفة الإشراق والتصوف، ثم رحل إلى «قُمّ»، وأخيرًا عاد إلى بلده وانقطع عن الناس نحوًا من ثمانية أشهر، ثم خرج عليهم بدعوته الجديدة.

ودعوته الجديدة كانت هي (التوحيد) ذلك أنه رأى أثناء إقامته بالحجاز ورحلاته الكثيرة إلى بلاد العالم الإسلامي أن التوحيد قد دخله كثير من الفساد عن طريق قبور الأولياء التي يحج إليها الناس، وتقدم لها النذور، ويعتقد فيها أنها قادرة على النفع والضر، وهي أضرحة لا عد لها ولا حصر، منتشرة في جميع ربوع البلاد الإسلامية، يشد الناس إليها رحالهم، ويتمسحون بها ويتذللون لها، ويطلبون منها جلب الخير لهم ودفع الشر عنهم. ففي كل بلد ولي أو أولياء وفي كل بلدة ضريح أو أضرحة، تشرك مع الله في تصريف الأمور ودفع الأذى وجلب الخير، كأن الله سلطان من سلاطين الدنيا يتقرب إليه بذوي الجاه عنده وأهل الزلفى لديه، وإذا سألتهم عن ذلك أجابوا بما أجاب به المشركون منقبل: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾

بقلم / أ.د. عبد الفتاح الفاوي

[الزمر:٣] وهؤلاء يقولون ما نتوسل إليهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى أو يقولون: ﴿هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس:١٨].

وليت الأمر اقتصر عند هؤلاء على الأولياء والأضرحة والقبور، بل تعدى ذلك إلى النبات والجماد يتقربون بها إلى الله، فأهل بلدة بالحجاز - والكلام للشيخ محمد بن عبد الوهاب - تسمى (منفوحة) يعتقدون في نخلة هناك أن لها قدرة عجيبة: من قصدتها من العوانس تزوجت لعامها. وفي (الدرعية) غار يحج إليه الناس للتبرك، وفي مصر شجرة الحنفي وشجرة مريم وبوابة المتولي يتبرك الناس بها، بل ونعل يسمى نعل الكلشني يعتقدون أن من شرب فيه برئ.

وهكذا في كل قطر حجر أو شجرة يحج إليها ويتبرك بها، وتصد الناس عن الله مما جعل الشيخ يحاربها ويتصدى لها بكل قوة.

وأساس آخر يتصل بهذا التوحيد كان يفكر فيه الشيخ وهو التشريع. ذلك أنه رأى الناس والحكومات يهجرون شرع الله ويحتكمون إلى شرائع وقوانين مدنية ما أنزل الله بها من سلطان، فدعا الإمام إلى الاحتكام إلى شرع الله، وإلى فتح باب الاجتهاد الذي كان قد أغلق وكان إغلاقه - كما يقول - نكبة على المسلمين إذ أضاع شخصيتهم وقدرتهم على الفهم والحكم وجعلهم جامدين مقلدين.

وهكذا شغل ذهن الشيخ بفكرة التوحيد في العقيدة مجردة من كل شرك، وفكرة التوحيد في التشريع فلا مصدر لها إلا الكتاب والسنة.

على هذا الأساس بنيت دعوة محمد بن عبد الوهاب وعلى هذا الأساس بنيت جزئيات دعوته وفرعياتها.

وقد كان الشيخ متأثرًا في دعوته «بابن تيمية» الذي دعا من قبل إلى عدم زيارة القبور والأضرحة، ودعا إلى هدمها، وألف في ذلك الرسائل الكثيرة. وقد عرف الشيخ ابن تيمية عن طريق قراءته لكتبه، فأعجب به مما دعاه أن يعكف على كتبه ورسائله يكتبها ويدرسها، حتى إنه لتوجد في المتحف البريطاني بعض رسائل لابن تيميه مكتوبة بخط محمد بن عبد الوهاب، فكأن ابن تيمية كان إمامه ومرشده وباعث تفكيره والموحي إليه بالاجتهاد والدعوة إلى الإصلاح.

فقد دعا مثله إلى رفض البدع والتوجه بالعبادة والدعاء إلى الله وحده لا إلى المشايخ والأولياء والأضرحة ولا بواسطة توسل ولا شفاعة، وإن كان لابد من زيارة القبور فللعظة والاعتبار، لا للتوسل والاستشفاع، فالذبح للقبور أو لمن فيها والنذر لها والاستغاثة بها والسجود عندها شرك لا يرضاه الله، وهدم للتوحيد الذي جاء به الإسلام من أساسه.

وهكذا كانت دعوته حربًا على كل ما ابتدع بعد الإسلام الأول من عادات وتقاليد. فلا اجتماع لقراءة مولد، ولا احتفاء بزيارة قبر، ولا خروج للنساء وراء الجنازة ولا إقامة أذكار يغنى فيها ويرقص، ولا محمل يتبرك به ويتمسح. فكل هذا مخالف للإسلام الصحيح ويجب أن يزول ويجب أن نعود إلى الإسلام في بساطته الأولى وطهارته ونقائه ووحدانيته واتصال العبد بربه من غير واسطة ولا شريك.

ولا يصلح الإسلام اليوم إلا بما صلح به أوله فلابد من الحياة الإسلامية الأولى حيث التوحيد الصحيح والعزة الحقة.

ولم ينظر محمد بن عبد الوهاب إلى المدنية الحديثة وموقف المسلمين منها، ولم يتجه في إصلاحه إلى الحياة المادية كما فعل معاصره محمد على باشا وإنما اتجه إلى العقيدة وحدها والروح وحدها. فعنده أن العقيدة والروح هي الأساس وهي القلب إن صلحا صلح كل شيء، وإن فسدا فسد كل شيء.

وحمل الناس على التوحيد الخالص تطلب جهدًا كبيرًا في الإسلام منذ عصر الرسول ﷺ، إذ يروي المؤرخون وكتاب السيرة أنه كان لأهل الطائف بناية على «اللات» فلما أسلموا أمر النبي ﷺ بهدمها فطلبوا منه أن يترك هدمها شهرًا لئلا يروعوا نساءهم وصبيانهم حتى يدخلوهم الدين فأبى ذلك عليهم وأرسل معهم المغيرة ابن شعبة وأبا سفيان بن حرب وأمرهما بهدمها.

وجاء في الحديث أن العرب كانت لهم في الجاهلية شجرة تسمى «ذات أنواط» كانوا يعلقون بها سلاحهم ويعكفون حولها ويعظمونها فسأل بعض المسلمين رسول الله ﷺ أن يجعل لهم ذات أنواط فنهاهم عن ذلك.

وفي عهد عمر وكأنما استشعر أن بعض الناس أخذوا يحنون إلى بعض العادات الجاهلية عندما رآهم يأتون الشجرة التي تمت تحتها بيعة الرضوان فيصلون عندها ويتبركون بها فما كان منه إلا أن أمر بها فقطعت.

كما أنه لما رأى كعب الأحبار يخلع نعله ويلمس برجله الصخرة عند فتح بيت المقدس قال له: ضاهيت والله اليهود يا كعب.

وقد ورد عنه ﷺ أنه قال: «إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك».

ولكن سرعان ما اتخذ المسلمون قبور الصالحين وغير الصالحين مساجد، وكلما مضى الزمن كثرت أصناف التعظيم للقبور والأضرحة.

وظهر الدعاة والمصلحون على توالي العصور يحاولون أن يردوا الناس عن هذا ويرجعونهم إلى التوحيد الخالص. فعل ذلك ابن تيميه وفعل ذلك محمد بن عبد الوهاب.

مصير دعوة ابن عبد الوهاب

هذا هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب وهذه دعوته التي دعا بها. فماذا كان مصيرها؟

لمعرفة مصير دعوة الشيخ ومدى تأثيرها لابد أن نتعرف على حال شبه الجزيرة العربية آنذاك، فلقد كانت شبه الجزيرة العربية عندما بدأ محمد بن عبد الوهاب دعوته أشبه شيء بحالتها في الجاهلية؛ كل قبيلة تسكن موضعًا يرأسها أمير منها. فهذا أمير في الأحساء وهذا أمير في عسير وهؤلاء أمراء في نجد..

إلخ ولا علاقة بين هؤلاء الأمراء إلا علاقة الخصومة غالبًا. كما أن الخصومة بين البدو والحضر قائمة، فمن قدر من البدو على خطف شيء من الحضر فعل ومن قدر من الحضر على التنكيل ببدوي فعل. والطرق غير مأمونة والسلب والنهب على أشدهما، وسلطة الخلافة في الآستانة تكاد تكون سلطة اسمية تكتفي بتعيين الأشراف في مكة وإمدادهم ببعض الجنود.

وقد بدأ محمد بن عبدالوهاب دعوته بدعوة قومه برفق ولين ثم أخذ يدعو أمراء الحجاز وعلماء الأقطار الأخرى حاثا لهم على استنهاض الهمم في مكافحة البدع والرجوع إلى صحيح الإسلام.

وكان أسلوبه الهادئ في دعوته من أهم أسباب نجاحها، كما أن من أسباب نجاحها أيضًا وقوف «آل سعود» معه. ذلك أنه عندما اضطهد في بلده «العيينة» اضطر أن يخرج منها إلى الدرعية مقر آل سعود، وهناك عرض دعوته على أميرها محمد ابن سعود فقبلها وتعاهدا على الدين الصحيح ومحاربة البدع ونشر الدعوة في جميع جزيرة العرب.

ولما مات الأمير ومات الشيخ تعاهد أبناؤهما على أن يسيروا سيرة آبائهم في نصرة الدعوة وظلوا يعملون حتى تغلبوا على مكة والمدينة.

وشعرت الدولة العثمانية بالخطر يهددها بخروج الحجاز من يدها، وهو موطن الحرمين الشريفين اللذين يجعلان لها مركزًا إسلاميًا ممتازًا، تفقد الكثير منه إذا فقدتهما.

فأرسل السلطان محمود إلى محمد علي باشا في مصر أن يسير جيوشه لمقاتلة الوهابيين، وكما أرسلت الجيوش لمقاتلتهم أرسلت الدعاية في جميع الأقطار الإسلامية للنيل منهم ومن دعوتهم وتكفير مبتدعيها، حمل علماء الإسلام عليها حملات منكرة وألفت الكتب الكثيرة في التخويف منها والتشنيع عليها.

اهتم الوهابيون بالناحية الدينية وتقوية العقيدة وبالناحية الخلقية ولذلك حيث اسدوا قلت السرقة والفجور وشرب الخمور وأمن الطريق وما إلى ذلك ولكنهم لم يمسوا الحياة العقلية ولم يعملوا على ترقيتها إلا في دائرة التعليم الديني ولم ينظروا إلى مشكلات المدنية الحاضرة ومطالبها.

فلما تولت حكومة ابن سعود الحاضرة كان لابد أن تواجه هذه الظروف وتقف أمام منطق الحوادث، فاختطت لنفسها طريقًا وسطًا شاقًا وبدأت نشر التعليم المدني إلى جانب التعليم الديني ونظمت الإدارة الحكومية على شيء من النمط الحديث وسمحت للسيارات والطائرات واللاسلكي بدخول البلاد واستعمالها وما إلى ذلك وما أشده عملا. التوفيق بين علماء نجد ومقتضيات الزمن وبين طبائع البلاد ومطالب الحضارة.

ولم تقتصر الدعوة الوهابية على الحجاز والجزيرة العربية بل تعدتها إلى غيرها من الأقطار الإسلامية وكان موسم الحج ميدانًا صالحًا وفرصة سانحة لعرض الدعوة على أكابر الحجاج واستمالتهم إلى قبولها، فإذا عادوا إلى بلادهم دعوا إليها. فترى في «زنجبار» مثلا طائفة كبيرة من المسلمين يعتنقون هذا المذهب ويدعون إلى ترك البدع وعدم التقرب للأولياء.

وقام في الهند زعيم اسمه السيد أحمد حجر سنة ١٨٨٢ آمن بالدعوة الجديدة ودعا إليها في بلاده فنشر هذه الدعوة في «بنجاب» وأنشأ بها شبه دولة وأخذ سلطانه يمتد حتى حدة شمال الهند وأقام حربًا عوانا على البدع والخرافات.

وكذلك حضر الإمام السنوسي مكة حاجا وشجع الدعوة واعتنقها وعاد إلى الجزائر يبشر بها ويؤسس طريقته الخاصة في بلاد المغرب.

وفي اليمن ظهر أعلم علمائه وإمام أئمته. الإمام الشوكاني المولود سنة ١١٧٢ فسار على نفس النهج وإن لم يتلقه عن ابن عبد الوهاب وألف كتابه القيم «نيل الأوطار» وحارب التقليد ودعا إلى الاجتهاد فثارت من أجل ذلك حرب كلامية شعواء بينه وبين علماء زمانه كان أشدها في صنعاء وألف في ذلك رسالة سماها: القول المفيد في حكم التقليد ودعا في قوة إلى عدم زيارة القبور والتوسل بها.

هذا وبالله التوفيق

وقفات مع القصة في كتاب الله

قصة موسى والخضر عليهما السلام

دروس وعبر

القسم الثاني (١١)

إعداد/ عبد الرازق السيد عيد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أكرم المرسلين وخاتم النبيين والمبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فقد عرضنا في اللقاء السابق قصة قارون كما جاءت في كتاب رب العالمين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لأنه تنزيل من حكيم حميد.

واليوم بعون الله وحوله وطوله ومدده نقف معك أخي القارئ الكريم على ما استطعنا أن نقف عليه من الدروس والعبر سائلين المولى عز وجل أن ينفعني وإياك بها، وإذ نشرع في المقصود نقول مستعينين بالله رب العالمين.

أولا: مع قوله تعالى: ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ... ﴾ قارون كان من قوم موسى وعلى الراجح من أقوال أهل العلم كان ابن عم موسى وليس هذا فحسب، بل كان من أتباع موسى ومن المشهورين بحسن الصوت بالتوراة كما نقله ابن كثير عن ابن جريج وأكثر أهل العلم على ذلك ونقل ابن جريج عن قتادة بن دعامة قوله: «كنا نحدث أنه كان ابن عم موسى وكان يُسمَّى المنور لحُسْنِ صوته بالتوراة؛ ولكن عدو الله نافق كما نافق السامري لكثرة ماله، فها هو قارون رغم قرابته من موسى نسبًا وموافقته له في المنْهج بل كان من المعروفين المعدودين من قرَّاء التوراة، أقول ومع ذلك (بغى) عليهم، فما سبب البغي؟ وما مظاهره؟

أما سبب البغي فهو «كَثْرة مالِه» قال تعالى: ﴿ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ ﴾ فالمال كان سبب طغيان قارون على الرغم من قراءته للتوراة بل قيل: كان من السبعين رجلا الذين اختارهم موسى للميقات. لكن أعماه حب المال وأنساه الحق وجعله من قادة البغي، وصدق عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين قال: «احذروا المال فإن له ضراوة الخمر» حقًا، فكم من أقدام زلَّت بعد ثبوتها، وكم من قلوب قست بعد خشوعها، وكم من أفئدة انقطعت عن الله بعد اتصالها، بل وكم من نفوس كفرت بالله بعد إيمانها بسبب المال، وصدق النبي ﷺ حين قال «تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار» جزء من حديث رواه البخاري، فالمال فتنة وأي فتنة!، ومن هنا جاءت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تحذِّر من الافتتان بالمال، ونذكر من تلك الأحاديث على سبيل المثال لا الحصر: عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الدِّينار والدِّرهم أهلكا من قبلكم وهما مهلكاكم» [صحيح الجامع ٢٢٤٥] رواه البيهقي في شعب الإيمان.

وعن كعب بن عياض رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إن لكل أمة فتنة وإن فتنة أمتي المال»

رواه الترمذي والحاكم وصححه الألباني - رحمه الله - وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: جلس رسول الله ﷺ على المنبر وجلسنا حوله، فقال: «إن مما أخاف عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها» متفق عليه.

وقال ﷺ: «... فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكنني أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بُسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم» متفق عليه جزء من حديث طويل.

وهذا الدرس من أهم الدروس المستفادة من قِصَّة (قارون) فانظر أخي الكريم كيف حوَّله طغيان المال من قارئ للتوراة ومن أصحاب الميثاق مع موسى عليه السلام إلى عابد للمال كافر بكل ما سواه، وقد كان الأجْدَرُ به أن يعمل بالمال في طاعة الله، وقد نصحه قومه بذلك وقدَّموا له خمس نصائح غالية ثمينة:

الأولى: «لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين» والفرح المنهي عنه هنا الأشر والبطر والتكبُّر، لأن الله لا يحب المتكبرين قال مجاهد: «الفرح» «الأشر والبطر. أي: الذي يدعو صاحبه إلى الوقوع فيما يغضب الله وينسيه ذكره سبحانه وشكره» اهـ.

وقال صاحب روح المعاني «والفرح بالدنيا مذموم لذاته لأنه نتيجة حبِّها والرضا بها والذهول عن ذهابها» وأقول: قد ذمَّ الله هذا المسلك وجعله من صفات الكافرين فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (٧) أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يونس:٧، ٨]، ولكي تكمل الفائدة من هذا الموقف نقول: إن حب الدنيا لذاتها هو المذموم أما حبها لكونها وسيلة لأمر من أمور الآخرة فغير مذموم فالمال وسيلة وليس غاية والدنيا ممر وليست مستقرًا وهي قنطرة ومزرعة للآخرة.

ولذلك جاءت النصيحة الثانية من الصالحين إلى (قارون) ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ [القصص:٧٧]، أيْ استعمل المال فيما أمرك الله حتى تفوز بما وعد به عباده الصالحين في الآخرة.

وكانت النصيحة الثالثة: ﴿وَلاَ تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [القصص:٧٧]، أي مما أباح الله فيها من المآكل والمشارب والملابس والمساكن، والمناكح بغير سرف ولا مخيلة، فإن لربك عليك حقا، ولنفسك عليك حقًا ولزوجك عليك حقًا وللفقراء والمساكين وذوي القربى في مالك حقًا فاعط كل ذي حق حقه.

وجاءت النصيحة الرابعة: «وأحسن كما أحسن الله إليك» أي أحسن إلى خَلْقِ الله في القول والعمل كما أحسنَ الله إليك بالعطاء، وهذه إشارة طيبة من الناصحين وهم كأنما نصحوه بعدم التكبرُّ والبغي بالمال لأن المال مال الله هو سبحانه الذي منحك إياه وهو سبحانه الذي يملك أن يمنعك إياه في أي لحظة فلا مجال لك أن تتكبر به.

ومن هنا جاءت النصيحة الخامسة: «ولا تبغ الفساد في الأرض» فالمال إنما جعله الله لإقامة العدل في الأرض، وليس للعلو في الأرض والتكبر فيها بغير الحق والعمل بالمعاصي.

وهذه الوصايا تنبع من مشكاة النبوَّة فلا يُستبعد أن يكون الذي أوصَى بها موسى عليه السلام أو أخوه هارون، أو هما معا عليهما السلام.

ثانيًا: ما تقدَّم كان بسبب بغي قارون، وحان الوقت للحديث عن بعض مظاهر بغي قارون؛ ولعل من أبرز تلك المظاهر رده الحق ورفضه نصيحة الناصحين له فكان ردُّه عليهم: «إنما أوتيته على علم عندي» فدفعه الكبرُ إلى بَطر الحق وعدم قبوله، ولم تنفعه قراءته للتوراة ولم تنفعه صحبته لكليم الله لما أعماه حبُّ المال وأصابه بالكبر، كما أن إبليس اللعين لم ينفعه علمه ولم تنفعه صحبته للملائكة الكرام ولا وجوده بالملأ الأعلى، لم ينفع إبليس ذلك كلُّه حين امتلأ قلبه كبرًا وحسدًا فردَّ أمر الله الواضح الصريح بعقله الفاسد القبيح، كذلك أهل الكبر في كل زمان ومكان يردُّون الحق ولا يقبلونه من أحد إلا ما أُشرب في قلوبهم، ويحتقرون خَلْقَ الله.

وهذه المقولة التي قالها قارون عن عمْد وإصرار قد يقولوها بعض الناس وهم لا يشعرون كأن يقول أحدهم نجحت بذكائي وكونت ثروتي باجتهادي، وهزمت أعدائي بشجاعتي.

ولو أنصف هؤلاء لأسندوا الأمور إلى الله أولا ثم إلى أسبابهم الظاهرة، وقد تكون العبارة السابقة من (قارون) بمعنى أنه لولا رضا الله عني ومعرفته بفضلي ما أعطاني هذا المال، وهذا من انطماس بصيرته التي أعماها الغرور، وظنّ أن المال دليل على حبّ الله له ونسي أنه ابتلاء وفتنة، ولذلك ناسب أن يأتي التعقيب القرآني على كلام قارون المتقدم بقوله

تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ﴾ [القصص:٧٨]، فليس المال أو عدمه دليلا على حبّ الله، وكذلك ليس المال والقوة مانعة من بطش الله؛ إنما الذي يعصم من غضب الله الاستقامة على دينه.

ومن مظاهر بغي (قارون) تكبره على قومه في كل شيء واحتقاره الناس ومن ذلك ما نقله المفسرون عن شهر بن حوشب من قوله عن قارون: «زاد في ثيابه شبرا طولا ترفعًا على قومه».

روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمر وأبي هريرة - رضي الله عنهما - عن النبيّ ﷺ أنه قال: «بينما رجل يجر إزاره من الخيلاء خُسف به، فهو يتجلل في الأرض إلى يوم القيامة» وفي إحدى روايات مسلم: «إن رجلا ممن كان قبلكم يمشي في حُلَّةٍ..» فالكبر والخيلاء جريمة كبرى توبق صاحبها في الدنيا والآخرة، وهذا الرجل الذي أصابه الخسف كان متكبرًا والدليل على كِبْره أنه كان يمشي يجر إزاره خيلاء وهكذا فعل قارون، وجرُّ الثوب وإطالته واسباله تحت الكعبين قد نُهي النبي ﷺ عنه، وكثير من الناس لا يبالون بهذا الأمر رغم خطورته فهو إما أن يكون من الكبْر، وسبق الكلام عنه، أو لا يكون الإسبال كبرًا ولا خيلاء فقد جاء النهي عنه والتحذير منه في أحاديث كثيرة، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما رواه الإمام مالك وغيره من حديث أبي سعيد الخدري أن النبيّ ﷺ قال: «أُزرة المؤمن إلى نصف ساقه وما أسفل من الكعبين ففي النار، ومن جرّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه» فإسبال الإزار أسفل الكعبين محرَّم حتى ولو لم يكن كبرا وأمَّا إن كان كبرا فهذا أمر آخر.

هذا وقد بلغ كبرُ قارون واستخفافه بقومه منتهاه حين خرج عليهم في زينته «فخرج على قومه في زينته» خرج في رياشه ومراكبه وخَدَمِه وعبيدِه وأمواله، خرج في هذا الموكب لا لشيء إلا البطر والأشر والخُيلاء وفتنة الضعفاء من قومه أتباع موسى عليه السلام، ولما بلغت الفتنة غايتها جاء أمر الله. كما قال تعالى: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ ﴾ [القصص:٨١].

ثالثا : العلم النافع يعصم من الفتنة :

وقد ظهر هذا جليا عند بروز قارون في زينته، فقد انقسم الناس إلى فريقين؛ أولي العلم الذين لم ينخدعوا بهذه الزينة الزائفة، وعلموا أنها إلى زوال سريع، وأن عاقبتها أليمة في الدنيا والآخرة طالما أنها في غير طاعة الله، وقد ظهر ذلك في ردِّهم على ضعاف العلم والإيمان الذين بهرتهم زينة قارون وقالوا: «.. يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم».

هذا موقف ضعاف الإيمان، وقد وصفهم الله بأنهم يريدون الحياة الدنيا، وذلك لجهلهم بحقيقتها وحقيقة علاقتها بالآخرة. أما الذين أوتوا العلم فكان لهم موقف آخر فقد قالوا للمخدوعين: «ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها إلا الصابرون» هذا قول في الغاية من الحكمة والصواب وقد يحتاج منا التعليق عليه إلى صفحات لكن نكتفي بقوله تعالى: ﴿ .. قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر:٩]، هذا في كل زمان ومكان إلى أن تقوم الساعة.

رابعًا: التعقيب القرآني:

عقَّب القرآن الكريم على القصة مرتين في نهايتها.

الأولى: بعد الخسف مباشرة فقال تعالى: ﴿ ... فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ ﴾ [القصص:٨١]، أين ذهبت أموال قارون ودياره وخدمه وحاشيته؟ ما استطاع أحد أن يمنعه من أمر الله، ولا يستطيع أحد في الماضي ولا في المستقبل أن يقف أمام أمر الله وقدره إذا جاء فهو سبحانه القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير، فقهره عن قدرة وقدرته عن علم وحكمة.

الثانية: ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين ﴾ [القصص:٨٣]، جاء هذا التعقيب بمثابة إعلان هام وقاعدة كلية تحكم حياة الناس، فاعتبروا يا أولي الأبصار، فإن الدار الآخرة ونعيمها المقيم الذي لا يحول ولا يزول قد جعلها الله سبحانه وتعالى للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا، قال الألوسي نقلا عن عكرمة وغيره (العلو في الأرض) التكبُّر وطلب الشرف عند السلاطين والملوك و«الفساد» العمل بالمعاصي وأخذ بالمال بغير حقِّه ووضعه في غير مستحقه. اهـ. وجماع الأمر يا عباد الله في تقوى الله فهي الميزان وهي طوق النجاة في الدنيا والآخرة والعاقبة للمتقين».

والحمد لله رب العالمين.

مفاهيم عقائدية "الإيمان بالملائكة"

إعداد: أسامة سليمان

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده... وبعد:

فإن الإيمان بالملائكة الأبرار ركن من أركان الإيمان، لا يتم الإيمان إلا به فضلا عن أن الإيمان بهم من الإيمان بالغيب، الذي هو من صفات المتقين يقول سبحانه: ﴿الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة:١-٣].

ولأن علاقتنا بالملائكة لا تنفك منذ أن كنا في أرحام أمهاتنا، فللرحم ملك، وعندما جئنا إلى الدنيا فالملائكة لا تفارقنا ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [البقرة:١٨]، وعند الاحتضار ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلاَئِكَةُ...﴾ [فصلت:٣٠]، وفي القبر سؤال الملكين، وبعد البعث ﴿وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلاَئِكَةُ﴾.

وبعد دخول الجنة ﴿... وَالْمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ [الرعد:٢٣].

صفات الملائكة الخلقية:

للملائكة صفات خَلقية كما أن لهم صفات خُلقية، أما الصفات الخَلقيه فمنها:

١ـ أنهم خلقوا من نور، ففي الحديث: «خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وُصف لكم» [رواه مسلم].

وليس معنى أنهم خلقوا من نور أنهم الآن نور، فهذا يعني أن أصل الخلق نور.

٢ـ خلقوا قبل آدم عليه السلام، لأن الله سبحانه أمرهم بالسجود لآدم بعد خلقه فعلم أن خلقهم سابق على خلق آدم عليه السلام يقول سبحانه ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر:٢٨-٢٩].

٣ـ خلقهم عظيم لا يعلمه إلا رب العالمين يقول سبحانه: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة:٤٠]، وفي الحديث أن النبي ﷺ «رأى جبريل عليه السلام في صورته وله ستمائة جناح، كل جناح منها يسد الأفق يقول جل شأنه ﴿.. جَاعِلِ الْمَلاَئِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ..﴾ [فاطر:١].

٤ـ اختلاف مقاماتهم فليسوا على درجة واحدة في القوة أو المقام يقول سبحانه: ﴿وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ [الصافات:١٦٤].

وأرفعهم مقاما هم الذين شهدوا غزوة بدر ففي الحديث أن جبريل جاء النبي ﷺ فقال: «ما تعدون من شهد بدرًا فيكم ، قلت خيارنا، قال: وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة هم عندنا خيار الملائكة» [رواه البخاري].

٥ـ لا يوصفون بأنوثة:

فالقرآن الكريم أبطل هذا الزعم، وألقم المشركين حجرًا عندما وصفوا الملائكة أنهم بنات الله فقال سبحانه: ﴿وَجَعَلُوا

الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴾ [الزخرف:١٩]، وقال جل شأنه: ﴿ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى * تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى ﴾ [النجم:٢١-٢٢]، ويقول سبحانه: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ * أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ * وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ * أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الصافات:١٤٩-١٥٥].

٦- لا يأكلون ولا يشربون:

ففي قصة إبراهيم عليه السلام عندما جاءته الملائكة وقدم لهم الطعام وهو لا يعرفهم، لم تمتد أيديهم إليه فأوجس منهم خيفه، يقول جل شأنه: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ * فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ [الذاريات:٢٤-٢٦]، وفي سورة هود يقول سبحانه: ﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً...﴾ [هود:٧٠].

٧- لا يفترون ومعنى الفتور الملل والضعف

فالملائكة تطيع ربها عز وجل وتنفذ أوامره سبحانه دون ملل ولا ضعف يقول سبحانه ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء:٢٠] وفي سورة فصلت يقول جل شأنه ﴿..فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ أي لا يملون.

٨- عددهم كثير لا يعلمه إلا الله، ففي حديث البخاري ومسلم، أن البيت المعمور يدخله في كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه. وفي صحيح مسلم فيؤتى بجهنم لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك، فضلا عن أن لكل إنسان ملكين موكلين بكتابة العمل وملائكة تقوم على حفظه وملك لهدايته وتوفيقه.

٩- ومن الملائكة من ثبت له اسم بالكتاب والسنة، منهم:

١) جبريل عليه السلام:

وهو الموكل بنزول الوحي على رسل الله وأنبيائه، قال سبحانه: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ...﴾ [البقرة:٩٧].

٢) ميكائيل وإسرافيل:

وميكائيل هو الموكل بالقطر الذي ينزل من السماء، وإسرافيل هو الموكل بالنفخ في الصور وكان ﷺ إذا قام من الليل افتتح الصلاة بقوله «اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم».

٣) خازن النار واسمه مالك، قال سبحانه: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف:٧٧].

٤) خازن الجنة واسمه رضوان جاء مصرحًا به في الأحاديث، ذكر ذلك ابن كثير في البداية والنهاية.

٥) منكر ونكير وهما الملكان الموكلان بسؤال العبد في القبر كما ثبت ذلك في حديث البخاري.

٦) ملك الموت ولم يصح في تسميته بعزرائيل أثر عن النبي ﷺ.

ذكر ذلك الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية.

ثانيًا: صفاتهم الخلقية:

١- الحياء، والحياء من خلق الملائكة الأبرار ففي الحديث أن النبي ﷺ قال في حق عثمان رضي الله عنه ألا استحى من رجل تستحي منه الملائكة.

٢- تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم ففي الحديث أن النبي ﷺ قال: «من أكل البصل والثوم والكراث فلا يقربنَّ مسجدنا، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم». [رواه مسلم]

والله من وراء القصد.

«الاعتقاد» للإمام الطبري

إعداد / علاء خضر

المؤلف: الإمام المفسر الحافظ الفقيه أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري الآمالي صاحب التفسير الشهير والتاريخ الكبير.

مولده: ولد عام ٢٢٤هـ بمدينة آمل طبرستان، حفظ القرآن وعمره سبع سنين، وأَمَّ الناس في الصلاة وعمره ثماني سنين، وبدأ يكتب الحديث وعمره تسع سنين، وعندما جاوز البلوغ بدأ رحلته في طلب العلم والسماع من أكابر العلماء.

أخذ عن علماء كثيرين منهم محمد بن المثنى، ومحمد بن عبد الأعلى الصنعاني والربيع بن سليمان الأزدي تلميذ الشافعي وغيرهم كثير، وسمع منه الإمام أبو أحمد عبد الله بن عدي صاحب كتاب الكامل في الضعفاء، والقاضي أبو بكر أحمد بن كامل وآخرون.

قال عنه الإمام محمد بن خزيمة: إني لا أعلم على أديم الأرض أحدًا أعلم منه.

وفاته: ٣١٠هـ ببغداد.

موضوع الكتاب: بيان القول الصحيح والاعتقاد السديد فيما اختلف فيه من أقوال بين الفرق الإسلامية في زمن الطبري رحمه الله وإظهار قول أهل السنة والجماعة بطريقة مختصرة.

قيمة الكتاب: يبين هذا الكتاب وما قبله من الكتب السابقة في هذا الباب أن اعتقاد أهل السنة عقيدة غالب علماء المسلمين أمثال الطبري والآجري والإمام أحمد ومالك والشافعي وأبي حنيفة وسفيان الثوري وابن المبارك وغيرهم.

منهج المؤلف: يورد المؤلف اعتقاده بطريقة مختصرة يبين فيها قول أهل السنة في المسألة وأحيانًا يأتي بالأدلة على ذلك من الكتاب والسنة.

سبب تأليفه: ما حدث في عصره - كما قال - من حماقات خاض فيها أهل الجهل والعناد والرعاع يتعب إحصاؤها ويمل ويكثر تعدادها.

أهم ما جاء في عقيدته: من ذلك قوله: فأول ما نبدأ بالقول فيه من ذلك عندنا القرآن أنه كلام الله وتنزيله إذ كان من معاني توحيده فالصواب من القول في ذلك عندنا أنه كلام الله غير مخلوق كيف كتب وحيث تُلِيَ وفي أي موضع قُرِئَ، فمن قال غير ذلك أو ادعى أن قرآنًا في الأرض أو في السماء سوى القرآن الذي نتلوه بألسنتنا ونكتبه في مصاحفنا أو اعتقد ذلك بقلبه أو أضمره في نفسه أو قاله بلسانه دائنًا فهو بالله كافر حلال الدم والمال بريء من الله والله منه بريء، يقول الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ [البروج:٢١، ٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة:٦]، فأخبر أنه في اللوح محفوظ مكتوب وأنه من لسان محمد مسموع وكذلك هو في الصدور محفوظ وبألسن الشيوخ والشبان متلو، حدثني محمد بن منصور بإسناده عن ابن عيينة قال سمعت عمرو بن دينار يقول أدركت مشايخنا منذ سبعين سنة يقولون: القرآن كلام الله منه بدأ وإليه يعود.

وقال في الرؤية: وأما الصواب من القول في رؤية المؤمنين ربهم عزَّ وجلَّ يوم القيامة في الآخرة، ودِيننا الذي ندين به، وأدركنا عليه أهل السنة والجماعة، فهو أن أهل الجنة يرونه على ما صحت به الأخبار عن رسول الله ﷺ، ثنا أبو السائب سالم بن جنادة بإسناده عن جرير بن عبد الله قال كنا جلوسًا عند رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال إنكم راؤون ربكم عزَّ وجلَّ كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس

وصلاة قبل غروبها فافعلوا، ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه:١٣٠]، ولفظ الحديث كحديث مجاهد قال مجاهد قال يزيد: من كذب هذا الحديث فهو بريء من الله ورسوله حلف غير مرة وأنا أقول صدق رسول الله وصدق يزيد وقال الحق.

وفي أفعال العباد قال: وأما الصواب من القول لدينا فيما اختلف فيه من أقوال العباد وحسناتهم وسيئاتهم فإن جميع ذلك من عند الله تعالى والله سبحانه وتعالى مقدره ومدبره ولا يكون شيء إلا بإذنه ولا يحدث شيء إلا بمشيئته له الخلق والأمر. كما حدثني زياد بن عبدالله بإسناده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره وحتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه».

وفي الصحابة قال: وأما الحق من اختلافهم في أفضل أصحاب رسول الله ﷺ مما جاء به ﷺ الخبر وتتابع على القول به السلف.

فنقول فأفضل أصحابه ﷺ أبو بكر الصديق ثم الفاروق بعده عمر بن الخطاب ثم ذو النورين عثمان بن عفان ثم أمير المؤمنين وإمام المتقين علي بن أبي طالب (قلت: وفي هذا رد على من رمى الإمام الطبري بالتشيع زعمًا أنه قدم عليًا على عثمان) رضوان الله عليهم أجمعين.

وفي من أولى بالخلافة قال: وأما أولى الأقوال بالصواب عندنا فيما اختلفوا فيه من أولى الصحابة بالإمامة فنقول من قال بما حدثنا به محمد بن عمر الأسدي بإسناده عن سفينة مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ثم بعد ذلك ملك» قال لي سفينة: «أمسك خلافة أبي بكر سنتان» وخلافة عمر «عشر».

وفي الإيمان قال: وأما القول في الإيمان وهل هو قول وعمل وهل يزيد وينقص أم لا زيادة ولا نقصان، فإن الصواب فيه قول من قال هو قول وعمل ويزيد وينقص وبه جاء الخبر عن جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ وعليه مضى أهل الدين والفضل ثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق قال سألنا أبا عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله عن الإيمان في معنى الزيادة والنقصان فقال ثنا الحسن بن موسى (الأشيب قال حدثنا حماد بن سلمة) عن أبي جعفر الخطمي عن أبيه عن جده عمر بن حبيب قال: الإيمان يزيد وينقص، فقيل: وما زيادته وما نقصانه؟ فقال: إذا ذكرنا الله وحمدناه وسبَّحناه فتلك زيادته وإذا غفلنا وعصينا ونسينا فذلك نقصانه.

وقال في اللفظية: وأما القول في ألفاظ العباد بالقرآن فلا أثر فيه نعلمه عن صحابي مضى ولا عن تابعي قفا إلا عمن في قوله الغنا والشفا رحمة الله عليه وفي اتباعه الرشد والهدى، ومن يقوم قوله مقام قول الأئمة الألى الإمام المرتضى أحمد بن محمد بن حنبل رضي الله عنه وأرضاه، قال أبو جعفر أخبرنا إسماعيل الترمذي قال سمعت أبا عبد الله أحمد يقول: اللفظية جهمية، يقول الله: ﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة:٦] فممن يسمع؟ ثم سمعت جماعة من أصحابنا لا أحفظ أسماءهم يذكرون عنه يعني الإمام أحمد بن حنبل أنه كان يقول: من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع، ولا قول في ذلك كله عندنا يجوز أن نقول غير قوله إذ لم يكن لنا في ذلك إمام نأتم به سواه وفيه الكفاية والمقنع وهو الإمام المتبع إذ هو إمام أهل السنة رحمة الله عليه ورضوانه.

ثم قال خاتمًا: فديننا الذي ندين الله به في الأشياء التي ذكرناها ما بيناه لكم على ما وصفنا فمن روى عنا خلاف ذلك أو أضاف إلينا سواه أو نحلنا في ذلك قولا غيره فهو كاذب مفتر متخرص معتد يبوء بسخط الله، وعليه غضب الله ولعنته في الدارين، وحق على الله أن يورده المورد الذي وعد رسول الله ﷺ أضرابه وأن يحله المحل الذي أخبر به النبي ﷺ أن الله سبحانه يحله أمثاله على ما أخبر به ﷺ.

والله من وراء القصد

أطفال المسلمين كيف رباهم النبي الأمين

ركن الأسرة

الحلقة الثانية والعشرون

إعداد: جمال عبد الرحمن

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.. وبعد: في هذا العدد نطالع - إن شاء الله - هدي رسولنا الكريم ﷺ يكون قدوتهم في حسن العِشْرة، ويشجع فيهم الاعتماد على النفس والأكل من عمل أيديهم ويجنبهم البطالة والكسل.

(١٠٢) ويكون ﷺ قدوتهم في حُسن العِشْرة:

قال أنس رضي الله عنه: كان رسول الله من أحسن الناس خُلقًا، فأرسلني يومًا لحاجة، فقلت: والله لا أذهب، وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبي الله ﷺ، فخرجتُ حتى أمر على صبيان وهم يلعبون في السوق، فإذا برسول الله ﷺ قد قبض بقفاي من ورائي، فنظرت إليه، وهو يضحك، فقال: «يا أنيس، ذهبت حيث أمرتك؟» قلت: نعم أنا أذهب يا رسول الله، قال أنس: والله لقد خدمته تسع سنين، ما علمته قال لشيء صنعته لِمَ فعلتَ كذا أو كذا؟ أو لشيء تركته: هلاَّ فعلت كذا وكذا(١)؟

(١٠٣) ويشجع فيهم ﷺ الاعتماد على النفس والأكل من عمل أيديهم، ويجنبهم البطالة والكسل:

في هذا الشأن نرى رسول الله ﷺ يهتم بتنمية مواهب الطفل الاجتماعية والاقتصادية، ويبني فيه جسور الثقة بالنفس، والاعتماد عليها، ليتعامل مع كثير من عناصر المجتمع، ويتفاعل مع شخصياته، فينتفع بالتجربة، وتزداد فيه الثقة، فتصبح حياته جادة، ورجولته ممتدة، فلا تعرف الميوعة إليه سبيلاً، وتكون الرجولة عليه دليلاً.

عن عمرو بن حريث رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مر بعبد الله بن جعفر وهو يبيع بيع الغلمان أو الصبيان، قال: «اللهم بارك له في بيعه». أو قال: «في صفقته»(٢).

وهذا والله من أعظم المواقف للنبي الكريم ﷺ، فعبد الله بن جعفر ابنُ ابنِ عم النبي ﷺ، وأبوه قائد المسلمين وشهيدهم في غزوة مؤتة، وهو الطيار الذي يطير بجناحين في الجنة، ثم مع هذا يرى النبي ﷺ ابنه في السوق يبيع الجلود المدبوغة والقِرَب وغيرها؛ فلم يخجل النبي ﷺ من ذلك، وهم أشرف الناس عند الله وعند الناس، ولم يمنعه ﷺ من البيع بل دعا له بالبركة والمزيد، ولم يجعل كذلك

خزانة بيت المال تحت تصرفه، بل تركه يعتمد على نفسه، كيف لا وهو القائل ﷺ: «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتًا»(٣). يعني: رزق يوم بيوم.

فليتعظ أئمة العالم من إمام العالمين!!

إذًا فالسعي على الرزق، والأكل من عمل اليد، والمهنة والحرفة عفة تعف المسلم عن الأخذ والسؤال.

وفي باب الكسب والتجارة ومحبتها والحث على طلب الرزق ما رواه مسلم عن أم سلمة قالت: لقد خرج أبو بكر على عهد رسول الله ﷺ تاجرًا إلى بُصرى ... (٥).

وقد كان نوح عليه الصلاة والسلام يصنع الفُلك (السفن) بأمر ربه عز وجل، وكان داود عليه الصلاة والسلام يجيد الحدادة وصناعة الدروع الحربية بتعليم الله عز وجل له، وكان المصطفى ﷺ يجيد التجارة، ومن الواجب على المسلمين أن يتقنوا الحرف والصناعات، فليس عارًا أن يجيد الإنسان صنعة من الصناعات أو حرفة من الحِرَف، كما قيل:

وليس على عَبْدٍ تقيٍ نقيصةٌ
إذا صحَّحَ التقوى وإن حاكَ أو حَجَمْ

قال ابن القيم رحمه الله: «ويجنبه الكسل والبطالة والدعة والراحة، بل يأخذه بأضدادها، ولا يريحه إلا بما يجم نفسه وبدنه للشغل، فإن للكسل والبطالة عواقب سوء ومغبة ندم، وللجد والتعب عواقب حميدة، إما في الدنيا، وإما في العُقْبَى، وإما فيهما، فأروح الناس أتعب الناس، وأتعب الناس أروح الناس، فالسيادة في الدنيا، والسعادة في العُقبى، لا يوصل إليها إلا على جسر من التعب»(٦).

قال الدكتور عبد الله باقادري: وإن الذي يتأمل حال شباب المسلمين في هذا الزمان، وما مُنُوا به من البطالة والكسل والراحة الجالبة للميوعة والترهلُ، بسبب الفراغ الذي أنعم الله به عليهم، فلم يشكروا نعمته بملئه بما يعود عليهم وعلى مجتمعاتهم بالخير في الدنيا والآخرة، وإنما ملأوه باللهو واللعب والمتع المباحة أو المحرَّمة، حتى أصبح كثير منهم مثل القطعان الحيوانية الضارة لأمْن الناس على أموالهم ودمائهم وأعراضهم؛ الذي يتأمل ذلك يبدو له جليًا ما عَنَتْهُ نصوص القرآن والسنة وأقوال العلماء من التحذير من الفراغ والبطالة والكسل، فلا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم(٧).

بل إن النبي ﷺ يعود الصبي على النشاط وتحمُل المسئولية، فلا مانع من أن يأمره بإعداد مائدة الطعام بنفسه، فيكون خادمًا ومعاونًا لغيره بدلاً من أن يكون كسولاً عالةً على غيره.

يقول أنس رضي الله عنه: قال لي رسول الله ﷺ - وذلك عند السحور -: «يا أنس! إني أريد الصيام، أطعمني شيئًا». فأتيته بتمر وإناء فيه ماء، وذلك بعدما أذن بلال، فقال: «يا أنس! انظر رجلاً يأكل معي». فدعوت زيد بن ثابت، فجاء، فقال: إني قد شربتُ شربة سَوِيق(٨) وأنا أريد الصيام، فقال رسول الله ﷺ: «وأنا أريد الصيام»، فتسحر معه فقام فصلى ركعتين، ثم خرج إلى الصلاة(٩).

وقد يقول قائل: فما المائدة التي أعدها أنس؟ إنها تمر وماء! أقول: ليست العبرة بكثرة الطعام، وإنما العبرة في المبدأ نفسه؛ أن يقوم الصبي في هذا الوقت من الليل - وقت السحور - الذي ينام فيه الصبيان، بل ينام فيه شداد الرجال، ثم يُعد ما تيسر مما رزق الله سبحانه ليطعم بعد ذلك رسول الله ﷺ. نعم إنها التربية الحسنة، والرعاية الواعية للأبناء والشباب.

الهوامش:

(١) مسلم، ٤٢٧٢.
(٢) سبق تخريجه بالفقرة (٥٨) (حسن).
(٣) مسلم، كتاب الزهد ,٥٢٧٢
(٤) مجمع الزوائد ٦٢/٤، والطبراني ج٨، ح٨٩٣٤، وفيه عاصم بن عبيد، وهو ضعيف. وانظر السلسلة الضعيفة ١٣٠١.
(٥) نفس المصدر بالصفحة السابقة هامش (٣).
(٦) تحفة المودود، ص ١٩٥.
(٧) في كتابه أثر التربية الإسلامية ص ١٨٩.
(٨) السَّوِيق: طعام يُتخذ من مدقوق الحنطة والشعير.
(٩) أخرجه أحمد ١٢٩٦٧، وصحح إسناده المحقق، وكذا أخرجه النسائي وصححه الألباني ح٢١٦٦ بصحيح سنن النسائي.

بيان إعجاز القرآن

لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي

وإنما تعذر على البشر الإتيان بمثله لأمور: منها أن علمهم لا يحيط بجميع أسماء اللغة العربية وبألفاظها التي هي ظروف المعاني والعوامل، ولا تدري أنها مهم جميع معاني الأشياء المحمولة على تلك الألفاظ.

ولا تكتمل معرفتهم للاستنباء جميع وجوه النظوم التي بها يكون ائتلافها وارتباط بعضها ببعض.

وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل، ومعنى به قائم ورباط لها ناظم وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة حتى لا نرى شيئا من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعزب من ألفاظه ولا نرى نظما أحسن تأليفا وأشد تلاؤما وتشاكلا من نظمه.

لماذا صار القرآن معجزا؟

لأنه جاء بأصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمنا أصح المعاني، من توحيد له عزت قدرته، وتنزيه له في صفاته ودعاء إلى طاعته، وبيان بمنهاج عبادته، من تحليل وتحريم، وحظر وإباحة ومن وعظ وتقويم وأمر بمعروف ونهي عن منكر، وإرشاد إلى محاسن الأخلاق وزجر عن مساوئها.

واصفا كل شيء فيها بوصفه الذي لا يرى شيء أولى منه.

ولا يرى في صورة العقل أمر إليه منه مودعا أخبار القرون الماضية وما نزل من مَثُلات الله بمن عصى وعاند منهم.

منبئا عن الكوائن المستقبلية في الأعصار الباقية من الزمان جامعا في ذلك بين الحجة والمحتج له، والدليل والمدلول عليه ليكون ذلك أوكد للزوم ما دعا إليه، وإنباء عن وجوب ما أمر به ونهى عنه.

ومعلوم أن الإتيان بمثل هذه الأمور والجمع بين شتاتها حتى تنظم أمر يعجز عنه قوى البشر ولا تَبلغُه قدَرهم فانقطع الخلق دونه.

وجه من أوجه الإعجاز في القرآن

قلت في إعجاز القرآن وجهًا آخر ذهب عنه الناس فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم، وذلك صنيعه بالقلوب وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلامًا غير القرآن منظومًا ولا منثورًا، إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال، ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه إليه، تستبشر به النفوس وتنشرح له الصدور، حتى إذا أخذت حظها منه عادت مرتاعة قد عراها من الوجيب والقلق، وتغشاها الخوف والفَرَق، تقشعر منه الجلود، وتنزعج له القلوب، يحول بين النفس وبين مضمراتها وعقائدها الراسخة فيها؛ فكم من عدو للرسول ﷺ من رجال العرب وفتاكها أقبلوا يريدون اغتياله وقتله فسمعوا آيات من القرآن، فلم يلبثوا حين وقعت في مسامعهم أن يتحولوا عن رأيهم الأول، وأن يركنوا إلى مسالمته، ويدخلوا في دينه، وصارت عداوتهم موالاة، وكفرهم إيمانًا.

خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه يريد رسول الله ﷺ ويعمد لقتله، فسار إلى دار أخته وهي تقرأ سورة طه، فلما وقع في سمعه لم يلبث أن آمن. وبعث الملأ من قريش عتبة بن ربيعة إلى رسول الله ﷺ ليواقفوه على أمور أرسلوه بها، فقرأ عليه رسول الله ﷺ آيات من حم السجدة، فلما أقبل عتبة وأبصره الملأ من قريش قالوا: أقبل أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، ولما قرأ رسول الله ﷺ القرآن في الموسم على النفر الذين حضروه من الأنصار آمنوا به وعادوا إلى المدينة فأظهروا الدين بها، فلم يبق بيت من بيوت الأنصار إلا وفيه قرآن، وقد رُوي عن بعضهم أنه قال: فتحت الأمصار بالسيوف وفتحت المدينة بالقرآن.

ولما سمعته الجن لم تتمالك أن قالت: ﴿ ..إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ.. ﴾ [الجن:١-٢]، ومصداق ما وصفناه في أمر القرآن في قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ.. ﴾ [الحشر:٢١]، وفي قوله: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [الزمر:٢٣]. وقال سبحانه: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ ﴾ [العنكبوت:٥١]. وقال سبحانه: ﴿ ..وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا.. ﴾ [الأنفال:٢]، وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ.. ﴾ [المائدة:٨٣]، في أي ذوات عددَ منه، وذلك لمن ألقى السمع وهو شهيد، وهو من عظيم آياته، ودلائل معجزاته. والحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، قَيِّمًا، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا، وصلى الله على محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، غيظ الكافرين، وحنف الملحدين، المبعوث بدين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

وحسبنا ونعم الوكيل

تحذير الداعية من القصص الواهية

« الحلقة التاسعة والثلاثون »

قصة مفتراة على نبي الله يوسف عليه السلام

إعداد

علي حشيش

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

لقد انتهى شهر رمضان، وأكثر المسلمون فيه من قراءة القرآن، ابتغاء الشفاعة، حيث ثبت في «صحيح مسلم» (ح٨٠٤)، «كتاب صلاة المسافرين» (ح٢٥٢) من حديث أبي أمامة الباهلي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه...».

ويحاول البعض أن يعرف معاني الآيات التي قرأها فيقع وهو لا يدري في قصص واهية وأحاديث منكرة وضعت في بعض التفاسير وتناقلها الوعاظ والقصاص.

من أجل ذلك قال الإمام ابن الجوزي في «الموضوعات» (٣١/١): «إن سنة نبينا ﷺ مأثورة ينقلها خلف عن سلف، ولم يكن هذا لأحد من الأمم قبلها، ولما لم يمكن أحد أن يدخل في القرآن شيئًا ليس منه، أخذ أقوام يزيدون في حديث رسول اللَّه ﷺ وينقصون ويبدلون ويضعون عليه ما لم يقل، فأنشأ الله عز وجل علماء يذبون عن النقل، ويوضحون الصحيح، ويفضحون القبيح، وما يخلي الله عز وجل منهم عصرًا من العصور، غير أن هذا النسل قد قل في هذا الزمان فصار أعز من عنقاء مغرب». اهـ.

قلت: فإذا كان الأمر كذلك في عهد ابن الجوزي المتوفى سنة (٥٩٧هـ)، فكم يكون عدد العلماء الذابين عن الحديث في هذا العصر؟ لا شك أنهم أقل من القليل، مما يؤكد علينا وجوب الاستمرار في نشر هذه السلسلة «تحذير الداعية من القصص الواهية»، وتحذيرًا للناس منها، وقيامًا بواجب بيان العلم.

-القصة المفتراة على نبي الله يوسف عليه السلام، وهي «قصة ابتغاء يوسف عليه السلام الفرج من عند غير الله».

القصة حول تفسير الآية (٤٢/ يوسف) في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾.

القصة: قال يوسف للذي علم أنه ناج من صاحبيه اللذَيْن استعبراه الرؤيا: اذكرني عند ربك وهو الملك وأخبره بمظلمتي، وأني محبوس بغير جرم، هذا خبر من الله جل

ثناؤه عن غفلة عرضت ليوسف من قبل الشيطان نسي لها ذكر ربه الذي لو به استغاث لأسرع بما هو فيه خلاصه، ولكنه زلّ بها فأطال من أجلها في السجن حبسه وأوجع لها عقوبته.

قلت: هذه القصة التي أخبر فيها الإمام الطبري- عفا الله عنا وعنه- عن غفلة يوسف ونسيانه لذكر الله، وأنه لم يستغث بالله، فأطال من أجل ذلك في السجن حبسه.

ولقد بنى قوله هذا في القصة على حديث مرفوع أخرجه في تفسيره (٧/٢٤٤) (ح١٩٣٢٢) حيث قال: كما حدثنا ابن وكيع قال: حدثنا عمرو بن محمد، عن إبراهيم بن يزيد، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ: «لو لم يقل يوسف- يعني الكلمة التي قالها- ما لبث في السجن طول ما لبث حيث يبتغي الفرج من عند غير الله».

التحقيق

قلت: في السند علتان تجعلان هذه القصة واهية.

الأولى: إبراهيم بن يزيد، أورده الإمام المزي في «تهذيب الكمال» (١/٤٥٢- ٢٦٣) وقال: يعرف بالخوزي روى عن عمرو بن دينار، سكن شِعْب الخوز بمكة فنسب إليه.

١- قال صالح بن أحمد بن حنبل عن أبيه: متروك.

٢- وقال أبو بشر الدولابي عن البخاري: «سكتوا عنه». قال الدولابي: يعني: تركوه. اهـ.

٣- قلت: وأورده الإمام البخاري في «الضعفاء الصغير» رقم (١٢) وقال: «إبراهيم بن يزيد، أبو إسماعيل الخوزي مكي سكتوا عنه، يروي عن محمد بن عباد بن جعفر، وعمرو بن دينار».

٤- أورده الإمام النسائي في كتاب «الضعفاء والمتروكين» ترجمة (١٤) وقال: «إبراهيم بن يزيد الخوزي: متروك».

فائدة

أ- مصطلح البخاري: «سكتوا عنه»: قال السيوطي في «التدريب» (١/٤٣٩): «البخاري يطلق: فيه نظر، وسكتوا عنه فيمن تركوا حديثه، ويطلق منكر الحديث: على من لا تحل الرواية عنه».

ب- مصطلح النسائي: متروك.

قال الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص٦٩): «مذهب النسائي أن لا يترك حديث الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه».

٥- وأورده الدارقطني في «المتروكين» رقم (١٣) كما في سؤالات البرقاني.

٦- وأورده ابن حبان في «المجروحين» (١/١٠٠) وقال: «روى عن عمرو بن دينار، وأبي الزبير، ومحمد بن عباد بن جعفر مناكير كثيرة وأوهامًا غليظة حتى يسبق إلى القلب أنه المتعمد لها».

الثانية: سفيان بن وكيع بن الجراح:

أ- أورده الإمام الذهبي في «الميزان» (٢/١٧٣- ٣٣٣٤).

أ- قال البخاري: يتكلمون فيه لأشياء لقنوه إياها.

ب- وقال أبو زرعة: يتهم بالكذب.

٢- قال ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٤/٢٣١): «سألت أبا زرعة عنه فقال: لا يشتغل به، قيل له كان يكذب، قال: كان أبوه رجلاً صالحًا، قيل له: كان يتهم بالكذب؟ قال: نعم».

٣- أورده ابن حبان في «المجروحين» (١/٣٥٥): وقال: «ابتلي بورّاق سوء كان يدخل عليه- أي أدخل عليه ما ليس من روايته، ونصحه العلماء أن يدعه، فلم يرجعه، فمن أجل إصراره على ما قيل له استحق الترك». اهـ.

٤- قال النسائي في «الضعفاء والمتروكين» رقم (٢٨٩): «سفيان بن وكيع بن الجراح: ليس بشيء».

الاستنتاج

نستنتج من هذا التحقيق أن السند ضعيف جدًا وأن القصة واهية.

الضمير في قوله: ﴿فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾.

قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (٤/١٧٢):

١- «ولما ظن يوسف عليه السلام أن الساقي ناج قال له يوسف خفية عن الآخر- والله أعلم- لئلا يشعره أنه المصلوب- قال له: ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾، يقول: اذكر قصتي عند ربك وهو الملك فنسي ذلك الموصَى أن يذكِّر مولاه الملك بذلك، وكان من جملة مكايد الشيطان لئلا يطلع نبي الله من السجن هذا هو الصواب أن الضمير في قوله: ﴿فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ عائد على الناجي كما قال مجاهد، ومحمد بن إسحاق، وغير واحد».

٢- ويقال أن الضمير عائد على يوسف عليه السلام، رواه ابن جرير عن ابن عباس، ومجاهد أيضًا وعكرمة وغيرهم، وأسند ابن جرير ههنا حديثًا فقال: حدثنا ابن وكيع حدثنا عمرو بن محمد عن إبراهيم بن يزيد عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعًا قال: قال النبي ﷺ فذكر حديث القصة الذي حققناه آنفًا.

٣- ثم قال الإمام ابن كثير: «هذا الحديث ضعيف جدًا لأن سفيان بن وكيع ضعيف، وإبراهيم بن يزيد هو الخوزي أضعف منه أيضًا، وقد روى عن الحسن وقتادة مرسلاً عن كل منهما وهذه المرسلات ههنا لا تقبل لو قبل المرسل حيث هو في غير هذا الموطن والله أعلم». اهـ.

إقرار علامة الشام القاسمي للإمام ابن كثير

لقد أقر علامة الشام محمد جمال الدين القاسمي في تفسيره «محاسن التأويل» (٣٦٧/٤) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، حيث قال: «وأما ما رواه ابن جرير عن ابن عباس مرفوعًا: «لو لم يقل- يعني يوسف- الكلمة التي قال، ما لبث في السجن طول ما لبث حيث يبتغي الفرج من عند غير الله تعالى». فقال الحافظ ابن كثير: حديث ضعيف جدًا وذكر من رجاله الضعفاء روايتين سماهما. ثم قال: وروي أيضًا مرسلاً عن الحسن وقتادة، قال: وهذه المرسلات ههنا لا تقبل لو قبل المرسل من حيث هو في غير هذا الموطن والله أعلم».

ولقد أجاد وأفاد عليه الرحمة. اهـ.

قلت: من تعقيب علامة الشام القاسمي على تحقيق الإمام ابن كثير يتبين إقراره لابن كثير رحمه الله، وبيان الصواب في قوله: ﴿فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾، وبراءة يوسف عليه السلام مما نسب إليه في هذه القصة من نسيان ذكر الله وابتغائه الفرج من عند غير الله وعقوبته على ذلك بطول الحبس، ولقد تبين للقارئ الكريم أن هذا الخبر منكر وقصة واهية.

السنة الصحيحة تثبت ما قلناه

أولاً: من الأوهام التي وقعت في هذه القصة الواهية أن يوسف عليه السلام قال للناجي: «اذكرني عند ربك» جزعًا واستعجالاً للخروج من السجن، والسنة الصحيحة المطهرة ترد هذه الشبهة وتبين صبر يوسف عليه السلام، فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «نحن أحق بالشك من إبراهيم؛ إذ قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾، ويرحم الله لوطًا لقد كان يأوي إلى ركن شديد، ولو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي».

قلت: الحديث متفق عليه، أخرجه البخاري (ح٣٣٧٥، ٣٣٨٧، ٤٥٣٧، ٤٦٩٤، ٦٩٩٢)، ومسلم (ح١٥١)، قال الإمام النووي رحمه الله في شرح هذا الحديث: «وأما قوله ﷺ: «ولو لبثت في السجن طول لبث يوسف لأجبت الداعي»:

١- فهو ثناء على يوسف عليه الصلاة والسلام، وبيان لصبره، وتأنيه.

٢- والمراد بالداعي رسول الملك الذي أخبر الله سبحانه وتعالى أنه قال: ﴿ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٠].

٣- فلم يخرج يوسف عليه السلام مبادرًا إلى الراحة، ومفارقة السجن الطويل، بل ثبت، وتوقر، وأرسل إلى الملك في كشف أمره الذي سجن بسببه، ولتظهر براءته عند الملك وغيره فيلاقيه الملك وهو يعتقد براءته مما نسب إليه.

٤- فبين نبينا ﷺ فضيلة يوسف في هذا، وقوة نفسه في الخير، وكمال صبره، وحسن نظره.

٥- وقال النبي ﷺ عن نفسه ما قاله، تواضعًا، وإيثارًا للإبلاغ في بيان كمال فضيلة يوسف عليه السلام.

قلت: ولقد أجاد وأفاد الإمام النووي رحمه الله في تفسيره لهذا الحديث والذي به ترد الشبهات التي جاءت في القصص الواهية، وترد فرية نسيان يوسف عليه السلام ذكر الله، وهو الذي دعاهما في السجن إلى توحيد الله كما في الآيات (٣٨، ٣٩، ٤٠ سورة يوسف) عندما استعبراه الرؤيا.

ثانيًا: ومن الأوهام التي نشأت عن هذه القصة الواهية: أن يوسف عليه السلام عندما جزع في السجن، ونسي ذكر الله وابتغى الفرج من عند غير الله عوقب بطول السجن.

ولقد أخرج ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢١٥٩/٧) (ح١١٦٤٢) حديثًا قدسيا يحتج به أصحاب هذه الشبهة، ولكي نرد هذه الشبهة يجب دحض هذه الحجة.

ولقد أخرج ابن أبي حاتم الحديث تحت قوله تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾، حيث قال: حدثنا أبي وأبو زرعة قالا: حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي، حدثنا سلام بن أبي الصهباء، حدثنا ثابت، عن أنس قال: أوحى الله إلى يوسف، يا يوسف من استنقذك من الجب إذْ ألقوك فيه؟ قال: أنت يا رب. قال: من استنقذك من القتل إذ هم إخوتك أن يقتلوك؟ قال: أنت يا رب، قال: فما لك نسيتني وذكرت آدميًا؟ قال: جزعًا بذنبي، وكلمة تكلم بها لساني. قال: وعزتي لأخلدنك السجن بضع سنين. اهـ.

قلت: وإلى القارئ الكريم تحقيق هذه القصة: «قصة معاتبة الله ليوسف عليه السلام على نسيانه وجزعه ثم عقوبته».

فالقصة واهية والحديث منكر، وعلته: «سلام بن أبي الصهباء».

١- قال فيه أمير المؤمنين في الحديث الإمام البخاري في كتابه «التاريخ الكبير» (١٣٥/٤) ترجمة (٢٢٣٤): سلام بن أبي الصهباء، حدثنا ثابت عن أنس: سلام منكر الحديث. اهـ.

قلت: ولقد بينت آنفًا معنى مصطلح البخاري «منكر الحديث»، وأن البخاري يطلقه على من لا تحل الرواية عنه.

٢- أورده الإمام الذهبي في «الميزان» (٣٣٥٠/١٨٠/٢) وقال: «سلام بن أبي الصهباء أبو المنذر البصري الفزاري عن ثابت وقتادة ضعفه يحيى».

٣- قال ابن حبان في «المجروحين» (٣٣٦/١): «سلام بن أبي الصهباء الفزاري من أهل البصرة يروي عن ثابت البناني وقتادة روى عنه معلى بن أسد والبصريون، ممن فحش خطؤه وكثر وهمه، لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد».

قلت: وقول ابن حبان: «فحش خطؤه وكثر وهمه»، هذه العبارة تجعل الراوي يخرج أيضًا عن منطقة المتابعات، حيث قال الإمام العراقي في «فتح المغيث» (ص٧): «من كثر الخطأ في حديثه وفحش استحق الترك وإن كان عدلاً».

٤- قلت: وهذا ما بيّنه الإمام العقيلي في «الضعفاء الكبير» (١٦٦٥/١٥٩/٢) فبعد أن أخرج عن الإمام البخاري أنه «منكر الحديث» قال: «ولا يتابع عليه عن ثابت». اهـ.

قلت: بهذا التحقيق يتبين أن قصة نسيان يوسف عليه السلام ذكر الله وابتغائه الفرج من عند غير الله قصة واهية وحديثها منكر، وكذلك قصة معاتبة الله ليوسف عليه السلام وجزعه وعقوبته قصة واهية أيضًا وحديثها منكر كما بيّنا في علتها وقول أمير المؤمنين في الحديث الإمام البخاري.

وأختم هذا البحث بقول مسك الختام للنبيين محمد ﷺ في صحيح البخاري (ح٣٣٩٠): «الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم: يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام».

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

أجاب عنها:
فضيلة الشيخ: ابن عثيمين رحمه الله

طهارة المريض وصلاته

سُئل: كيف يتطهر المريض؟

أجـاب: ١- يجب على المريض أن يتطهـر بالماء فيتوضأ من الحدث الأصغر، ويغتسل من الحدث الأكبر.

٢- فإن كان لا يستطيع الطهارة بالماء لعجزه، أو خوف زيادة المرض، أو تأخر برئه فإنه يتيمم.

٣- كيفية التيمم: أن يضرب الأرض الطاهرة بيديه ضربة واحدة يمسح بهما جميع وجـهه، ثم يمسح كفيه بعضهما ببعض.

٤- فإن لم يستطع أن يتطهر بنفسه فإنه يوضئه، أو ييممه شخص آخر، فيضرب الشخص الأرض الطاهرة بيديه، ويمسح بهما وجه المريض وكفيه، كما لو كان لا يستطيع أن يتوضأ بنفسه فيوضئه شخص آخر.

٥- إذا كان في بعض أعضاء الطهارة جرح فإنه يغسله بالماء، فإن كان الغسل بالماء يؤثر عليه أيضًا فإنه يتيمم عنه.

٦- إذا كان في بعض أعضائه كسر مشدود عليه خرقة، أو جبس فإنه يمسح عليه بالماء بدلاً من غسله، ولا يحتاج للتيمم؛ لأن المسح بدل عن الغسل.

٧- يجوز أن يتيمم على الجدار أو على شيء آخر طاهر له غبار، فإن كان الجدار ممسوحًا بشيء من غير جنس الأرض كالبوية فلا يتيمم عليه إلا أن يكون له غبار.

٨- إذا لم يمكن التيمم على الأرض، أو الجدار، أو شيء آخر له غبار فلا بأس أن يوضع تراب في إناء أو منديل يتيمم منه.

٩- إذا تيمم لصلاة وبقي على طهارته إلى وقت الصلاة الأخرى فإنه يصليها بالتيمم الأول، ولا يعيد التيمم للصلاة الثانية، لأنه لم يزل على طهارته، ولم يوجد ما يبطلها.

١٠- يجب على المريض أن يُطهِّـر بدنه من النجاسات، فإن كان لا يستطيع صلى على حاله، وصلاته صحيحة، ولا إعادة عليه.

١١- يجب على المريض أن يصلي بثياب طاهرة، فإن تنجست ثيابه وجب غسلها أو إبدالها بثياب طاهرة، فإن لم يمكن صلى على حاله وصلاته صحيحة، ولا إعادة عليه.

١٢- يجب على المريض أن يصلي على شيء طاهر، فإن تنجس مكانه وجب غسله أو إبداله بشيء طاهر، أو يفرش عليه شيئًا طاهرًا، فإن لم يمكن صلى على حاله وصلاته صحيحة، ولا إعادة عليه.

١٣- لا يجوز للمريض أن يؤخر الصلاة عن وقتها من أجل العجز عن الطهارة، بل يتطهر بقدر ما يمكنه، ثم يُصلي الصلاة في وقتها، ولو كان على بدنه وثوبه أو مكانه نجاسة يعجز عنها.

النائمون عن الفجر بسبب السهر

سُئل: من يسهر ولا يستطيع أن يصلي الفجر إلا بعد خروج الوقت فهل تقبل منه؟ وما حكم بقية الصلوات التي يصليها في الوقت؟

أجاب: أما صلاة الفجر التي يؤخرها عن وقتها وهو قادر على أن يصليها في الوقت لأن بإمكانه أن ينام مبكرًا فإن صلاته هذه لا تقبل منه؛ لأن الرجل إذا أخر الصلاة عن وقتها بدون عذر ثم صلاها فإنها لا تقبل منه؛ لقول النبي ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد». والذي يؤخر الصلاة عن وقتها عمدًا بلا عذر قد عمل عملاً ليس عليه أمر الله ورسوله فيكون مردودًا عليه.

لكن قد يقول: إنني أنام، وقد قال النبي ﷺ: «من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها لا كفارة لها إلا ذلك».

فنقول: إذا كان بإمكانه أن ينام مبكرًا ليستيقظ مبكرًا، أو يجعل عنده ساعة تنبهه، أو يوصي من ينبهه فإن تأخير الصلاة وعدم قيامه يعتبر تعمدًا لتأخير الصلاة عن وقتها فلا تقبل منه.

أما بقية الصلوات التي كان يصليها في وقتها فإنها مقبولة.

وإنني بهذه المناسبة أوجه كلمة وهي: أنه يجب على المسلم أن يقوم بعبادة الله على الوجه الذي يرضي الله عز وجل؛ لأنه في هذه الحياة الدنيا إنما خلق لعبادة الله ولا يدري متى يفجؤه الموت فينتقل إلى عالم الآخرة إلى دار الجزاء التي ليس فيها عمل، كما قال الرسول ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له».

قضاء تارك الصلاة

سُئل: من ترك الصلاة عمدًا ثم تاب هل يقضي ما ترك؟

أجـاب: من ترك الصلاة عـمدًا ثم تاب إلى الله ورجع إليه، فقد اختلف أهل العلم هل يجب عليه قضاء ما ترك من الصلوات، أو لا يجب؟ على قولين لأهل العلم.

والذي يترجح عندي ما اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن من ترك الصلاة متعمدًا حتى خرج وقتها فإنه لا ينفعه قضاؤها، وذلك لأن العبادة المؤقتة لابد أن تكون في نفس الوقت المؤقت، فكما لا تصح قبله لا تصح كذلك بعده؛ لأن حدود الله يجب أن تكون معتبرة، فهذه الصلاة فرضها الشارع علينا من كذا إلى كذا هذا محلها، فكما لا تصح الصلاة في المكان الذي لم يجعل مكانًا للصلاة، كذلك لا تصح في الزمان الذي لم يجعل زمانًا للصلاة، لكن على من ترك الصلاة أن يكثر من التوبة والاستغفار والعمل الصالح، وبهذا نرجو أن الله تعالى يعفو عنه، ويغفر له ما ترك من صلاة، والله الموفق.

زكاة أرض البناء والتجارة

سُئل: شخص اشترى أرضًا ليسكنها وبعد مضي ثلاث سنوات نواها للتجارة فهل فيما مضى زكاة؟

أجاب: لا تجب الزكاة فيها لأنه فيما مضى من السنوات أرادها للسكنى، ولكن من حين نيته الاتجار والتكسب بها فإنه ينعقد الحول، فإذا تم الحول بعد ذلك وجبت عليه الزكاة.

دَيْن الميت الفقير

سُئل: هل يقضى دين الميت الذي لم يخلف تركة من الزكاة؟

أجاب: ذكر ابن عبد البر وأبو عبيد أنه لا يقضى من الزكاة دين على ميت بالإجماع، ولكن الواقع أن المسألة محل خلاف، ولكن أكثر العلماء يقولون: إنه لا يقضى منها دين على ميت؛ لأن الميت انتقل إلى الآخرة، ولا يلحقه من الذل والهوان بالدين الذي عليه ما يلحق الأحياء، ولأن النبي ﷺ لم يكن يقضي ديون الأموات من الزكاة، بل كان يقضيها عليه الصلاة والسلام من أموال الفيء حين فتح الله عليه، وهذا يدل على أنه لا يصح قضاء دين الميت من الزكاة.

ويقال: الميت إن كان أخذ أموال الناس يريد أداءها فإن الله تعالى يؤدي عنه بفضله وكرمه، وإن كان أخذها يريد إتلافها فهو الذي جنى على نفسه، ويبقى الدين في ذمته يُستوفى يوم القيامة، وعندي أن هذا أقرب من القول بأنه يُقضى منها الدين على الميت.

وقد يقال: يفرق بين ما إذا كان الأحياء يحتاجون إلى زكاة لفقر أو جهاد أو غرم أو غير ذلك، وما إذا كان الأحياء لا يحتاجون إليها، ففي الحال التي يحتاج فيها الأحياء يقدم الأحياء على الأموات، وفي الحال التي لا يحتاجون إليها لا حرج أن نقضي منها ديون الأموات الذين ماتوا ولم يخلفوا مالاً، ولعل هذا قول وسط بين القولين.

هل يُخبَر الفقير بأن ما سيأخذه زكاة؟

سُئل: إذا أعطى الإنسان زكاته لمستحقها فهل يخبره أنها زكاة؟

أجاب: إذا أعطى الإنسان زكاته إلى مستحقها فإن كان هذا المستحق يرفض الزكاة ولا يقبلها فإنه يجب على صاحب الزكاة أن يخبره بأنها زكاة، ليكون على بصيرة من أمره إن شاء رفض، وإن شاء قبل، وإذا كان من عادته أن يأخذ الزكاة فإن الذي ينبغي أن لا يخبره؛ لأن إخباره بأنها زكاة فيه نوع من المنة، وقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى﴾ [البقرة: ٢٦٤].

كيفية الأداء عن المدين

سُئل: هل الأفضل أن يعطى المدين الزكاة ليقضي دينه أو يذهب صاحب الزكاة إلى دائنه ويوفي عنه؟

أجاب: هذا يختلف، فإن كان هذا الرجل المدين حريصًا على وفاء دينه وإبراء ذمته وهو أمين فيما يعطى لوفاء الدين فإننا نعطيه هو بنفسه ليقضي دينه؛ لأن هذا أستر له، وأبعد عن تخجيله أمام الناس الذين يطلبونه.

أما إذا كان المدين رجلاً مبذرًا يفسد الأموال، ولو أعطيناه مالاً ليقضي دينه ذهب يشتري به أشياء لا ضرورة لها، فإننا لا نعطيه وإنما نذهب نحن إلى دائنه، ونقول له ما دين فلان لك؟ ثم نعطيه هذا الدين أو بعضه حسبما يتيسر.

نقل الزكاة عن مكانها

سُئل: ما حكم نقل الزكاة من مكان وجوبها؟

أجاب: يجوز للإنسان أن ينقل زكاته من بلده إلى بلد آخر إذا كان في ذلك مصلحة، فإذا كان للإنسان أقارب مستحقون للزكاة في بلد آخر غير بلده وبعث بها إليهم فلا بأس بذلك، وكذلك لو كان مستوى المعيشة في البلد مرتفعًا وبعث بها الإنسان إلى بلد أهله أكثر فقرًا فإن ذلك أيضًا لا بأس به، أما إذا لم يكن هناك مصلحة في نقل الزكاة من بلد إلى البلد الثاني فلا تنقل.

الفتاوى

يجيب عليها
لجنة الفتوى بالمركز العام

الائتمام بالإمام من خارج المسجد

يسأل: سعيد إسماعيل - الإسكندرية:

هل تصح صلاتي متابعًا إمام المسجد القريب من منزلي من خلال مكبر الصوت لظروف صحية تمنعني من الذهاب إلى المسجد؟

وأرجو ذكر الحديث القدسي الذي يقول ما معناه: «اكتبوا لعبدي ما كان يفعله وهو صحيح»؟

الجواب: جمهور الفقهاء يشترطون لصحة اقتداء المأموم بالإمام ألا يكون بينهما فاصل كبير، فيقولون: إذا كان المأموم يرى الإمام أو مَنْ وراءه، أو يسمع التكبير وهما في مسجد واحد صح الاقتداء، وإن بعدت المسافة.

أما في خارج المسجد، فاشترط البعض في صحة الاقتداء بالإمام من خارج المسجد رؤية المأموم للإمام أو بعض مَنْ وراءه، وقالوا: إنه إذا كان بين الإمام والمأموم جدار كبير أو باب مغلق يمنع المقتدي من الوصول إلى إمامه لو قصد الوصول إليه لا يصح الاقتداء، فإن كان الجدار صغيرًا لا يمنع الاقتداء أو كبيرًا وله ثقب لا يشتبه على المأموم منه حال الإمام سماعًا أو رؤية، لما روي أن النبي ﷺ كان يصلي في حجرة عائشة رضي الله عنها والناس في المسجد يصلون بصلاته. [أخرجه البخاري].

وعلى هذا يصح الاقتداء بالإمام لمن كان في منزله؛ ومنزله بجنب المسجد وبينه وبين المسجد حائط وهو يسمع التكبير من الإمام أو من المكبر.

وأما الحديث الذي يرجو السائل ذكره وتصحيحه فهو قول النبي ﷺ: «ما أحد من المسلمين يُبتلى ببلاء في جسده، إلا أمر الله عز وجل الحفظة الذين يحفظونه: اكتبوا لعبدي مثل ما كان يعمل وهو صحيح، مادام محبوسًا في وثاقي». [مسند أحمد، وإسناده صحيح].

الفرق بين النضح والغسل

يسأل سائل:
ما الفرق العملي بين النضح أو الرش وبين الغسل؟

الجواب: النضح هو البل بالماء والرش، أما الغسل فهو استعمال الماء في التطهير من النجاسة بمعنى دلك الشيء الذي أصابته، ولذلك كان النبي ﷺ يؤتى إليه بالصبي فيبول عليه فينضحه بالماء ولا يغسله.

[مسلم ١٠٢].

معرفة زوال النجاسة

سائل يقول: متى أستطيع أن أتيقن من أن النجاسة قد زالت بغسلها؟

الجواب: النجاسات أنواع، فإن كانت نجاسة نتجت عن ولوغ الكلب في إناء فتطهيره بغسله سبع مرات إحداهن بالتراب كما أمر بذلك نبينا ﷺ، وإن كانت النجاسة ناتجة عن إتيان الغائط فيكون الاستنجاء بالماء حتى يشعر المرء أنه قد أنقى المكان بالماء، فإن لم يجد الماء استجمر بالأحجار وما شابهها وأن يوتر في الاستجمار بها، وأقل الوتر في الاستجمار ثلاثة، ولأنه لا يحدث إنقاء بأقل من ثلاثة أحجار، وينبغي محاولة إزالة لون النجاسة وريحها فإن عسر زوال ذلك لا يضر بقاء اللون أو بقاء الريح ويعفى عنه، فإن بقي اللون والريح ضر على الصحيح لقوة دلالتها على بقاء عين النجاسة.

وإن لم تكن النجاسة عينًا أي لم تكن محسوسة ولا مرئية سواء أكان عدم الإدراك بخفاء أثرها بالجفاف كبول جَفَّ فذهبت عينه ولا أثر له ولا ريح، أو يكون المحل صقيلاً لا تثبت عليه النجاسة كالمرآة والسيف فإنه يكفي جري الماء عليه مرة. والله أعلم.

السفر للحج بدون محرم

تسأل سائلة: هل يجوز لي الذهاب لأداء فريضة الحج بدون محرم مع أنني مع رفقة طيبة آمنة؟ وهل للسن دخل في إباحة أو تحريم السفر بدون محرم؟

وتسأل أخرى: زوجي سافر إلى الخارج، وبعث لي لاستقدامي إليه، فهل يمكن السفر إليه رغم عدم وجود محرم معي في سفري إليه، مع العلم أن أهلي لن يتركوني إلا عند ركوب وسيلة السفر، وزوجي سيكون في انتظاري عند محطة الوصول.

الجواب: قال رسول الله ﷺ: «لا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم». فقام رجل فقال: يا رسول الله، إن امرأتي خرجت حاجَّة، وإني اكتتبت في غزوة كذا وكذا، قال: فانطلق فحج مع امرأتك. البخاري.

وعليه فالمرأة إذًا لا يجب عليها الحج إلا إذا وجدت زوجًا أو محرمًا.

ولفظ المرأة عام بالنسبة إلى سائر النساء وهذا ما عليه جمهور العلماء.

أما المرأة التي ستسافر إلى زوجها كما تقول بالطائرة مع محرم يودع فقط وزوج يستقبل فهذا أيضًا سفر يحتاج إلى محرم فيه، فليأت زوجها ليأخذها ويسافر بها، فمعلوم حوادث الطائرات وتعطلها وغيره، فمن ذا الذي يرافق المرأة إذا حدث شيء من هذا، ثم إذا لم يحدث فأين الجانب التعبدي من تنفيذ أمر الله سبحانه وتعالى؟

من فتاوى دار الإفتاء المصرية

التصدق بفوائد البنوك

سئل: لي مبلغ من النقود أودعته في بنك بدون فائدة لأني أعتقد أن الفائدة حرام مهما كانت قليلة وأعلم أن الله تعالى يمحق الربا، وقد منَّ الله عليَّ بحب التصدق على الفقراء والمساكين، وقد أشار عليَّ بعض الناس بأني آخذ الفائدة من البنك وأتصدق بها كلها على الفقراء ولا حرمة في ذلك؟

أجاب: اطلعنا على هذا السؤال، نفيد أن أخذ الفوائد على الأموال المودعة بالبنوك من قبيل أخذ الربا المحرم شرعًا، ولا يصح أخذه قصد التصدق به لإطلاق الآيات والأحاديث الدالة على تحريم الربا، ولا نعلم خلافًا بين علماء المسلمين في أن الربا محرم شرعًا على أي وجه كان، هذا ولا يقبل الله هذه الصدقة بل يأثم صاحبها، كما تدل على ذلك أحاديث كثيرة عن رسول الله ﷺ، فقد جاء في كتاب جامع العلوم والحكم لابن رجب ما نصه: «وأما الصدقة بالمال الحرام فغير مقبولة. كما في صحيح مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: «لا يقبل الله صلاة بغير طهور، ولا صدقة من غلول». وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ما تصدق عبد بصدقة من مال طيب- «ولا يقبل الله إلا الطيب- إلا أخذها الرحمن بيمينه» إلى آخر الحديث. وفي مسند الإمام أحمد رحمه الله عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يكتسب عبد مالاً من حرام فينفق منه فيبارك فيه ولا يتصدق به فيتقبل منه ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار، إن الله لا يمحو السيئ بالسيئ، ولكن يمحو السيئ بالحسن، إن الخبيث لا يمحو الخبيث». وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من كسب مالاً حرامًا فتصدق به لم يكن له فيه أجر وكان إصراه (إثمه وعقوبته عليه)». أخرجه ابن حبان في صحيحه، ورواه بعضهم موقوفًا على أبي هريرة،

المشاركة على الأبقار

سئل: رجلٌ تشارك مع أحد الناس على بقرة بالنصف، ودفع نصف ثمنها والآخر النصف على أن يقوم الثاني بالتكاليف، ولا يدفع الآخر في النفقة شيئًا، وقد أنتجت البقرة حتى أصبح العدد أربع بقرات يقوم بتربيتها وتكاليفها المزارع، وطلب السائل الإفادة عن حكم ذلك شرعًا. وهل للشريك الحق في الشركة في الأبقار الأربعة؟

أجاب: إن المعاملة على الوجه الوارد بالسؤال وعلى الوجه الشائع في الريف من أن يدفع الشريكان الثمن مناصفة ويقوم أحدهما وهو

المسمى بالقاني بما يلزم للماشية من أكل وشرب في نظير أخذ لبنها وسمادها، والآخر وهو المسمى الشريك المرفوع لا يدفع شيئًا في النفقة، ولا يأخذ شيئًا من لبنها وسمادها على أن يكون نتاجها بينهما مناصفة، هذه المعاملة ليس فيها مانع شرعي من تعامل الناس بها وتعارفهم عليها وللناس فيها حاجة ولم يوجد نص يحظرها بعينها من كتاب أو سنة أو إجماع، ولا يترتب عليها ما يترتب على ما حظره الشارع من التصرفات من التنازع والشحناء وإيقاع العداوة والبغضاء أو الظلم والفساد، فتكون صحيحة وجائزة شرعًا دفعًا لما يلزم من الحرج وتيسيرًا على الناس، وعلى ذلك فيكون النتاج الحاصل من البقرة شركة بين الشريكين، ويكون للشريك المرفوع الحق في الأبقار الأربعة، وتكون الأبقار المذكورة شركة بالنصف بين الشريكين حسب الشروط، وبهذا علم الجواب عن السؤال والله أعلم.

مصير الشبكة عند فسخ الخِطبة

سُئل: شاب خطب فتاة وقدم لها المهر والشبكة المتفق عليهما، ثم شجر بينهما خلاف أدى إلى فسخ الخطبة والعدول عن إتمام الزواج قبل أن يتم العقد عليها، وطلب السائل الإفادة عما إذا كان من حق الخاطب استرداد ما قدمه من شبكة أم لا.

أجاب: من المقرر فقهًا أن الخاطب يرجع على مخطوبته عند فسخ الخطبة، وعدم العقد بما قدمه إليها من مهر- ومن المهر ما قدمه من الشبكة لجريان العرف على أن الشبكة جزء من المهر، وقد جرينا في الإفتاء على ذلك، وبما أن السائل يقرر أن الخطبة فسخت بين الشاب

والفتاة قبل إتمام العقد فيكون للخاطب الحق في أن يسترد ما قدمه إلى مخطوبته من شبكة لأنها جزء من المهر عرفًا كما سبق بيانه. وهذا إذا كان الحال كما جاء بالسؤال.

تجهيز المرأة للزواج

سُئل: في معنى كلمة جهاز هل هذه الكلمة تشمل كل ما دخلت به المرأة على زوجها بما فيه المصوغات والملابس والموبيليات. أفتونا الجواب ولكم الثواب؟

أجاب: اطلعنا عللى هذا السؤال، ونفيد أن جهاز الزوجة معناه عرفًا جميع ما أُعد لها للدخول به على زوجها ولا يلزم من ذلك أن يكون ملكًا لها إلا إذا كان قد اشتري لها من مهرها أو جهزها أبوها من ماله أو أمها من مالها على أن يكون ما جهزها به أحدهما من ماله ملكًا لها حتى إذا جهز الأب بنته وسلمها إلى الزوج بجهازها ثم ادعى هو أو ورثته أن ما سلمه إليها أو بعضه عارية وادعت هي أو زوجها بعد موتها أنه تمليك لها فإن غلب عرف البلد أن الأب يدفع مثل هذا جهازًا لا عارية فالقول لها ولزوجها ما لم يقم الأب أو ورثته البينة على ما ادعوه وإن كان العرف مشتركًا بين ذلك أو كان الجهاز أكثر مما يجهز به مثلها فالقول قول الأب وورثته والأم في جميع الأحكام المتقدمة كالأب، وهذا كله في غير ما يكون على الزوجة ليلة الزفاف من الحلي والثياب فإن الكثير أو الأكثر عارية فلو ماتت ليلة الزفاف لم يكن للزوج أن يدعي أنه لها فيرث منه بل القول فيه للأب بيمينه إنه إعارة أو استعارة لها فإن هذا لا يعد من الجهاز عرفًا.

والله أعلم.

فتوى مهمة بشأن صفحات الأبراج بالمجلات والصحف

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

الحمد الله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده... وبعد:

فقد اطلعت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء على ما ورد إلى سماحة المفتي العام من المستفتي / إبراهيم الشتري والمحال إلى اللجنة من الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء برقم (٧١٧) وتاريخ ١٤١٦/٢/١١هـ.

وقد سأل المستفتي سؤالاً هذا نصه: «تطالعنا بعض الصحف والمجلات العربية بصفحات أسمتها «الأبراج» تتحدث عن الأبراج «الحمل- والثور- والجوزاء...» إلخ، وتقول: إن المواليد القادمين في ظهور هذه الأبراج يخشى عليهم من النفور الدائم، حيث يتغير مزاجهم، وذلك بسبب- كما تقول المجلة- أن دائرة الأفلاك تكاد تصطدم من شدة التناقض! إلى آخر ما جاء في هذه الصفحة والتي يتابعها بعض شباب المسلمين!! والمرفقة لكم مع هذه الرسالة، فنرجو تبيين الحكم الشرعي في هذا العمل «الأبراج»، وما نصيحتكم للمسلمين وللقائمين على مثل هذه المجلات؟».

وبعد دراسة اللجنة للاستفتاء أجابت بأن هذا من التنجيم الذي يعلق عليه المنجمون السعود، والنحوس، والتفاؤل والتشاؤم، وهو فكر ومعتقد جاهلي محرم لا يجوز عمله ولا تعاطيه ونشره، وفي نشره في الصحف وغيرها زيادة في التضليل وإفساد معتقد المسلمين وادعاء لعلم الغيب مما هو من خصائص الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿قُلْ لاَ يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وقد نفى الله على لسان رسوله محمد ﷺ دعوى علم الغيب، فقال تعالى: ﴿قُلْ لاَ أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلاَ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ٣١]، وقال النبي ﷺ: «من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد». والآيات والأحاديث في هذا كثيرة، وهذا الحكم مما أجمع عليه المسلمون، وعلم تحريمه من الدين بالضرورة، فعلى كل مسلم ناصح لنفسه وأمته أن يبتعد عن هذا النوع من التلاعب بالعقول، والعبث بالمعتقد، وأن يتقي الله في نفسه وأمته، وأن لا ينشر هذا التضليل بينهم، وعلى ولاة الأمر وفقهم الله أن يمنعوا ويعاقبوا عليه ناشره بما يستحقه شرعًا.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

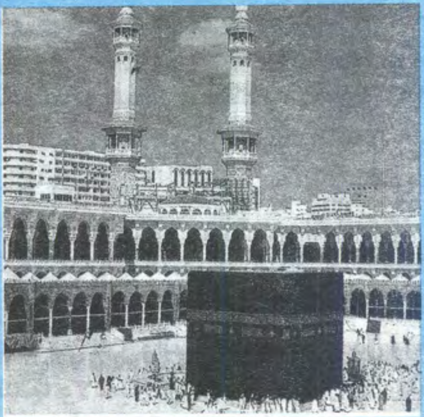

التعليق بالمشيئة آداب وأحكام

كتبه: المستشار: أحمد السيد علي إبراهيم

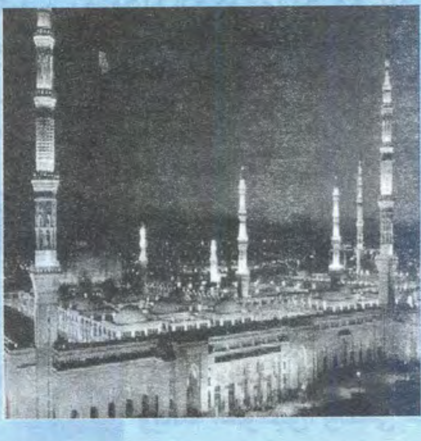

قال تعالى: ﴿ وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴾ [الكهف: ٢٣، ٢٤].

أمر الله سبحانه وتعالى عباده أن يعلقوا أفعالهم بمشيئة الله، وسنقوم بمشيئة الله بالكلام عن التعليق بالمشيئة بشيء من التفصيل، فنقول وبالله التوفيق:

١- تعريف المشيئة:

المشيئة هي الإرادة، وقيل: المشيئة أخص من الإرادة.

٢- للرب مشيئة:

بين الحق سبحانه وتعالى أن له مشيئة وأن مشيئته نافذة في عباده، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وقد جاءت الآيات في كتاب الله تعالى تقرر هذه الحقيقة، فقال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ ﴾ [المائدة: ٤٨]، وقال: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأنعام: ٣٥]، وقال: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ [الأنعام: ١٠٧]، وقال: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأنعام: ١١٢]، وقال: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ﴾ [البقرة: ٢٠].

٣- للعبد مشيئة:

بين الله سبحانه وتعالى أن للعبد مشيئة وهو مخير بين الإيمان والكفر فقال تعالى: ﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف:٢٩]، وقال: ﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴾ [التكوير: ٢٨]، وقال: ﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴾ [المدثر]، وقال: ﴿ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً ﴾ [المزمل: ١٩]، وقال: ﴿ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا ﴾ [النبأ: ٣٩]، وقال: ﴿ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ ﴾ [عبس: ١٢].

٤- مشيئة العبد تابعة لمشيئة الرب:

لا شك أن للعبد مشيئة يستطيع أن يختار بها، إلا أنها ليست مستقلة، بل هي تابعة لمشيئة الله سبحانه وتعالى، فلا يستطيع العبد أن يفعل شيئًا ولا أن يترك شيئًا إلا إذا شاء الله له فعله أو تركه، وهذه الحقيقة بينها سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩].

٥- لا يجوز قرن مشيئة العبد بمشيئة الرب على جهة المساواة:

سبق أن ذكرنا أن مشيئة العبد تابعة لمشيئة الرب، وهذا يعني أن مشيئة العبد لا تتساوى مع مشيئة الرب، ومن ثم لا يجوز اقتران المشيئتين على جهة المساواة، وقد حرص النبي ﷺ على تعليم الصحابة البعد عن ذلك، فقد أخرج أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً قال للنبي ﷺ: «ما شاء الله وشئت، فقال: أجعلتني لله ندًا؟ ما شاء الله وحده». [حديث حسن].

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان». رواه أحمد وأبو داود وصححه الألباني في الصحيحة (١٣٧).

فالواو تقتضي التسوية، وثُمَّ تقتضي الترتيب بمهلة.

٦- الأمر بتعليق أفعال العباد بمشيئة الله سبحانه وتعالى:

أمر الله سبحانه وتعالى عباده أن يعلقوا أفعالهم بمشيئة الله، فقال تعالى: ﴿وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾، والخطاب للنبي ﷺ خطاب لأمته ما لم يرد دليل على التخصيص، ثم أمر الله سبحانه وتعالى عباده في حالة نسيان التعليق أن يعلقوا حال التذكر فقال: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾.

٧- التعليق بالمشيئة عام لجميع الأمم:

التعليق بالمشيئة لا يختص بهذه الأمة فقط، وإنما هو عام لجميع الأمم، فقد قال تعالى حاكيًا عن إسماعيل عليه السلام: ﴿قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢]، وقال حاكيًا عن يوسف: ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٩].

وقال حاكيًا عن الرجل الصالح والد الفتاتين: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [القصص: ٢٧]، وقال حاكيًا عن بني إسرائيل: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٧٠].

٨- جزاء من امتثل الأمر:

من امتثل ما أمر الله به وعلق فعله بمشيئة الله سبحانه وتعالى كان أرجى لحاجته، وفي قصة بني إسرائيل دليل على ذلك، فقد عثروا على البقرة حينما قالوا: ﴿وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾، وقد قال ﷺ: «لولم يستثنوا لما بينت لهم آخر الأبد». أخرجه الطبري من طريق ابن جريج مرفوعًا.

٩- جزاء من خالف الأمر:

من خالف الأمر أو نَسِيَهُ يخشى من عدم تحقق حاجته، ومما يؤيد ذلك ما أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: قال سليمان بن داود عليهما السلام: «لأطوفن الليلة بمائة امرأة تلد كل امرأة غلامًا يقاتل في سبيل الله، فقال له الملك: قل إن شاء الله، فلم يقل ونسي، فأطاف بهن ولم تلد منهن إلا امرأة نصف إنسان، وقال النبي ﷺ: لو قال إن شاء الله لم يحنث وكان أرجى لحاجته».

١٠- تعليق اليمين والوعد والطلاق بالمشيئة:

أولاً: تعليق اليمين والوعد: أخرج أبو داود والترمذي وابن ماجه بسند صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «من حلف

على يمين فقال: إن شاء الله فلا حنث عليه». وفي رواية أخرى: «استثنى».

وذهب جمهور العلماء إلى أن التقييد بمشيئة الله مانع من انعقاد اليمين أو يحل انعقادها، ومما يوضح ذلك ويبينه ما رواه أبو داود عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «والله لأغزون قريشًا، والله لأغزون قريشًا، والله لأغزون قريشًا». ثم قال: «إن شاء الله»، ثم لم يغزهم.

ومما يوضحه أيضًا قوله ﷺ عن سليمان: «لو قال إن شاء الله لم يحنث».

وكذلك الحال بالنسبة للوعد، فمن قال: «أفعل إن شاء الله»، ولم يفعل لم يكن مخالفًا.

تنبيه: درج بعض الناس على أن يستثنوا في الوعد والحلف وفي نيتهم جزم بغير ما وعدوا أو حلفوا كأن يقول أحدهم لآخر: سآتيك غدًا إن شاء الله، وفي نيته عدم الذهاب، أو يقول: والله سأرد لك مالك غدًا إن شاء الله، وفي نيته عدم السداد، ثم يتذرع بعد ذلك بأن الله لم يشأ له الذهاب أو السداد، وهذا غير جائز، ولا يجوز الاحتجاج بالأحاديث المتقدمة على فعله هذا، إذ أن هذه الأحاديث تفيد أن الحالف أو الواعد إذا علق حلفه أو وعده بمشيئة الله وفي نيته الفعل ثم لم يفعل فلا حنث عليه، فالنبي ﷺ حينما حلف على غزو قريش وعلق ذلك على المشيئة لم يجزم في نيته بعدم الغزو عند الحلف.

ثانيًا: تعليق الطلاق:

اختلف الفقهاء في حكم تعليق الطلاق بالمشيئة، كأن يقول أحدهم لزوجته: أنت طالق إن شاء الله، على رأيين؛ أحدهما: وقوع الطلاق، الثاني: عدم وقوعه، وقد ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم إلى رأي ثالث وهو التفصيل في المسألة: فإن كان المُسْتَثْنِي يقصد بقوله: إن شاء الله، التحقيق والتأكيد وقع الطلاق، وإن قصد به التعليق وعدم الوقوع في الحال لم يقع.

١١- مخالفات في الاستثناء بالمشيئة:

درج بعض الناس على الوقوع في مخالفات قولية متعلقة بالمشيئة وهي:

المخالفة الأولى: تعليق الأمور الماضية بالمشيئة:

وذلك أن يقول أحدهم: عندي ثلاثة من الولد إن شاء الله، أو اشتريت هذه السيارة العام الماضي إن شاء الله، وهذا خطأ؛ لأن الله سبحانه وتعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿ وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴾ ولم يقل: «فعلت ذلك بالأمس»، كما أن موسى وإسماعيل عليهما السلام قال كل منهما: ﴿ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ وحرف السين إذا دخل على الفعل المضارع أفاد الاستقبال، وعلة ذلك أن الأمور الماضية قد علم أنها وقعت بمشيئة الله، والشرط إنما يؤثر في الاستقبال، والصحيح أن يقال: شاء الله أن يرزقني بالأولاد أو يقال: اشتريت هذه السيارة بمشيئة الله وإرادته.

المخالفة الثانية: قول بعضهم شاءت الأقدار أو شاءت الظروف:

فهذا لا يجوز لأن الأقدار ليس لها مشيئة وكذلك الظروف.

المخالفة الثالثة: لا يجوز تعليق ما يحتاج إلى تحقيق:

فلا يجوز أن يقال: «أنا مسلم إن شاء الله»؛ لأن الإسلام يحتاج إلى تحقيق وليس إلى تعليق، فإن قالها وقع الكلام منجزًا، كما لا يجوز تعليق البيع والنكاح على المشيئة لأنهما يحتاجان إلى التحقيق وليس إلى التعليق.

المخالفة الرابعة: قول أحدهم: اللهم اغفر لي إن شئت:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يقولن أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت ليعزم المسألة فإنه لا مُكره له». متفق عليه، وفي رواية لمسلم: «ولكن ليعزم وليعظم الرغبة فإن الله تعالى لا يتعاظمه شيء أعطاه».

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة ولا يقولن: اللهم إن شئت فأعطني فإنه لا مستكره له». متفق عليه.

والله أعلى وأعلم.

والحمد لله رب العالمين

القــــول الســــديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد

الحلقـة الثانيـة

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، والصلاة والسلام على إمام المرسلين ، وخيرة ربِّ العالمين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بيان مختصر لأقسام التوحيد

القسم الأول : توحيد الربوبية ، وهو الإقرار بأنَّ الله تعالى ربُّ كل شيء ومالكه وخالقه ورازقه، وأنه المحيي المميت النافع الضار المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار ، الذي له الأمر كلُّه، وبيده الخير كلُّه، القادر على كل شيء، ليس له في ذلك شريك، ويدخل في ذلك الإيمان بالقدر.

القسم الثاني : توحيد الأسماء والصفات ، وهو الإقرار بأنَّ الله بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وأنه الحيُّ القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، له المشيئة النافذة، والحكمة البالغة، وأنه سميع بصير، رؤوف رحيم، على العرش استوى، وأنه الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر، سبحان الله عما يشركون، إلى غير ذلك من الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والإيمان الجازم بها دون تحريف أو تعطيل أو تكييف أو تمثيل.

القسم الثالث : توحيد الإلهية ، ومبناه على إخلاص التأله لله تعالى، من المحبة والخوف والرجاء والتوكل والرغبة والرهبة والدعاء لله وحده، وإخلاص العبادات كلِّها ظاهرها وباطنها لله وحده لا شريك له ، فلا يُجعل فيها شيءٌ لغيره، لا لملَك مقرَّب ، ولا لنبي مرسل، فضلاً عن غيرهما. وهذا التوحيد هو الذي تضمنه قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وهو أول الدين وآخره، وباطنه وظاهره، وهو أول دعوة الرسل وآخرها، وهو معنى قول: لا إله إلا الله؛

بقلم / أ.د. عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

فإنَّ الإله هو المألوه المعبود بالمحبة والخشية والإجلال والتعظيم وجميع أنواع العبادة، ولأجل هذا التوحيد خُلقت الخليقة، وأُرسلت الرسل، وأُنزلت الكتب، وبه افترق الناس إلى مؤمنين وكفار، وسعداء أهل الجنة وأشقياء أهل النار.

أضداد هذه الأقسام

ولكلِّ قسم من هذه الأقسام الثلاثة ضد؛ فإذا عرفت أن توحيد الربوبية هو الإقرار بأنَّ الله تعالى هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبر لجميع الأمور المتصرف في كلِّ مخلوقاته لا شريك له في ملكه، فضد ذلك هو اعتقاد العبد وجود متصرف مع الله غيره فيما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل .

وإذا عرفت أن توحيد الأسماء والصفات هو أن يُدعى الله بما سمَّى به نفسه، ويُوصف بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله محمد ﷺ، ويُنفى عنه التشبيه والتمثيل، فضد ذلك شيئان، ويَعمهما اسم الإلحاد:

أحدهما : نفي ذلك عن الله عز وجل وتعطيله عن صفات كماله ونعوت جلاله الثابتة بالكتاب والسنة.

وثانيهما : تشبيه صفات الله تعالى بصفات خلقه، وقد قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وقال تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾ [طه: ١١٠].

وإذا عرفت أنَّ توحيد الألوهية هو إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة ، ونفي العبادة عن كلِّ ما سوى الله تبارك وتعالى ، فضد ذلك هو صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله عز وجل، وهذا هو الغالب على عامة

المشركين، وفيه الخصومة بين جميع الرسل وأممهم. [معارج القبول ٤١٨/١]

توحيد الربوبية وحده لا يكفي

لقد حكى الله سبحانه في كتابه عن المشركين أنهم مُقرُّون بتوحيد الربوبية، فقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١]، وقال: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف:٨٧]، وقال: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦٣]، وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢]، فهم كانوا يعرفون الله ويعرفون ربوبيته وملكه وقهره، ومع ذلك فإن هذا الإقرار لا يكفيهم ولا ينجيهم ، وما ذلك إلا لإشراكهم في توحيد العبادة الذي هو معنى لا إله إلا الله، ولهذا قال الله تعالى عنهم: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]، قال ابن عباس : «من إيمانهم : إذا قيل لهم : مَن خلق السماء ، ومَن خلق الأرض ، ومَن خلق الجبال؟ قالوا : الله. وهم مشركون».

وقال عكرمة : «تسألهم من خلقهم ومن خلق السماوات والأرض؟ فيقولون: الله، فذلك إيمانهم بالله، وهم يعبدون غيره».

وقال مجاهد : «إيمانهم بالله قولهم : الله خلقنا ويرزقنا ويميتنا، فهذا إيمان مع شرك عبادتهم غيره».

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: «ليس أحد يَعبد مع الله غيره ، إلا وهو مؤمن بالله ويعرف أنَّ الله ربه ، وأن الله خالقه ورازقه وهو يشرك به، ألا ترى كيف قال إبراهيم: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء : ٧٥- ٧٧] قد عرف أنهم يعبدون رب العالمين مع ما يعبدون، قال: فليس أحد يشرك إلاَّ وهو مؤمن به، ألا ترى كيف كانت العرب تلبي تقول: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، إلاَّ شريكًا هو لك ، تملكه وما ملك. المشركون كانوا يقولون هذا.

وقال تبارك وتعالى : ﴿فَلاَ تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «أي لا تشركوا بالله غيره من الأنداد التي لا تنفع ولا تضر وأنتم تعلمون أنه لا رب لكم يرزقكم غيره، وقد علمتم أنَّ الذي يدعوكم إليه الرسول ﷺ من توحيده هو الحق الذي لا شك فيه».

[رواه ابن جرير في تفسيره ١٦٤/١].

وقال قتادة : «أي تعلمون أن الله خلقكم وخلق السماوات والأرض ثم تجعلون له أندادًا». [رواه ابن جرير في تفسيره ١٦٤/١].

وقد أورد ابن القيم رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيره قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١]، أنه قال : «يريد : عَدلُوا بي من خَلْقي الحجارة والأصنام بعد أن أقروا بنعمتي وربوبيتي». [إغاثة اللهفان ٢٢٦/٢]

ومن الشواهد على اعتراف المشركين بربوبية الله من كلامه : قول زهير بن أبي سلمى في معلقته المشهورة :

فلا تكتمنَّ الله ما في نفوسكم
ليخفى فمهما يُكتم الله يعلم
يؤخر فيوضعْ في كتاب فيُدّخر
ليوم حساب أو يعجّل فينقم

قال ابن كثير - وقد أورد هذين البيتين: «فقد اعترف هذا الشاعر الجاهلي بوجود الصانع وعلمه بالجزئيات وبالمعاد وبالجزاء وبكتابة الأعمال في الصحف ليوم القيامة».

وقال ابن جرير : «وقد أنشد لبعض شعراء الجاهلية الجهلاء :

ألا ضربت تلك الفتاة هجينها
ألا قضب الرحمن ربي يمينها

وقال سلامة بن جندل الطهوي:

عجلتم علينا عجلتنا عليكم
وما يشأ الرحمن يعقد ويطلق»

والشواهد على هذا كثيرة، ومع ذلك فهم مشركون ؛ لأنهم يعبدون مع الله غيره .

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

اتبعوا ولا تبتدعوا

•• الحلقة الثالثة ••

إعداد: معاوية محمد هيكل

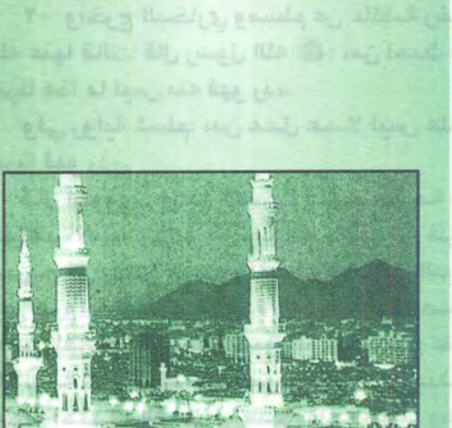

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فلقد حرصت جماعة أنصار السنة المحمدية منذ نشأتها الأولى على تحذير المسلمين من البدع والخرافات لما لذلك من أثر سيء على العقائد والعبادات والسلوك.

وقد تظاهرت وتضافرت أدلة الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة على ذم البدعة والنهي عنها والتنفير منها مطلقًا.

من أدلة القرآن:

١- قوله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُو الأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧].

وقد جاء تفسيرها في حديث المصطفى ﷺ كما روت عائشة رضي الله عنها أن الرسول ﷺ تلا هذه الآية ثم قال: «فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم». [أخرجه البخاري ١٦٦/٥].

وكذلك فسرها ابن عباس رضي الله عنهما كما روى الآجري بسنده أنه ذكر لابن عباس رضي الله عنهما الخوارج وما يصيبهم عند قراءة القرآن، فقال رضي الله عنه: يؤمنون بمحكمه ويضلون عند متشابهه ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ [آل عمران:٧].

والخوارج كانوا أوائل المبتدعة وكانت تلك سماتهم وسمة من أتى بعدهم من أهل البدع وهو إتباع المتشابه وترك المحكم.

٢- قوله جل وعلا: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

فالصراط هو سبيل الله الذي دعا إليه والسبل هي سبل أهل الاختلاف والبدعة.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «خط لنا رسول الله ﷺ خطًا بيده ثم قال: هذا سبيل الله مستقيمًا قال: ثم خط عن يمينه وشماله ثم قال: هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه الشيطان يدعو إليه» ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [رواه أحمد والحاكم وصححه]

وروى أبو نعيم بسنده عن مجاهد في قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ قال: «البدع والشبهات».

والنهي عن هذه السبل يدل على ذمها.

٣ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥) يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٦) وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٥- ١٠٧].

وقد ورد ما يفسر هذه الآية من كلام الصادق ﷺ كما نقل ذلك معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أهل الكتابين افترقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة- يعني الأهواء- كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة، وأنه سيخرج في أمتي أقوام تجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه ولا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله». [رواه أبو داود].

وقد فسر ابن عباس رضي الله عنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ بقوله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ فأهل السنة والجماعة وأولو العلم، وأما الذين أسودت وجوههم فأهل البدع والضلال.

٤- قوله سبحانه: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

قال الحافظ ابن كثير: «أي عن أمر رسول الله ﷺ وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته، فتوزن الأقوال والأعمال، فما وافق ذلك قُبل، وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله، كائنًا من كان، كما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد».

أي: فليحذر ويخش من خالف شريعة الرسول باطنًا وظاهرًا ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة.

٥- قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾.

٦- قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾.

٧- قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا...﴾ [المائدة:٣]، قال الشاطبي: هذه الآية تدل على أن الشريعة قد جاءت كاملة فلا تحتاج إلى زيادة ولا نقصان، وحاصل كلام المبتدع وحاله أن الشريعة لم تتم وأنه بقي منها أشياء يجب أو يستحب استدراكها في زعمه ولو كان معتقدًا لكمالها وتمامها من كل وجه لم يبتدع ولم يستدرك عليها، ولا شك أن من اعتقد هذا فهو ضال عن الصراط المستقيم.

الأدلة من السنة في ذم البدع

ومن أحاديث النبي ﷺ في ذم البدع:

١- قوله ﷺ: «أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة». وزاد النسائي: «وكل ضلالة في النار».

٢- وأخرج البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد».

وفي رواية لمسلم: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد».

قال النووي : وهذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام وهو من جوامع كلمه ﷺ فإنه صريح في رد كل البدع والمخترعات في الدين، وفي الرواية الثانية زيادة وهي أنه قد يعاند بعض الفاعلين في بدعة سبق إليها فيحتج عليه بالثانية التي فيها التصريح برد كل المحدثات سواء أحدثها الفاعل أو سبق بإحداثها ـ وهذا الحديث مما ينبغي حفظه واستعماله في إبطال المنكرات وإشاعة الاستدلال به.

٣- وقوله ﷺ كما روى العرباض بن سارية: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبدًا حبشيًا، فإنه من يَعِشْ منكم فسيرى اختلافًا

كثيرًا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضُّوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: إن المحافظة على عموم قول النبي ﷺ: «كل بدعة ضلالة متعين وأنه يجب العمل بعمومه وأن من أخذ يصنف «البدع» إلى حسن وقبيح ويجعل ذلك ذريعة إلى أن لا يحتج بالبدعة إلا على النهي فقد أخطأ.

٤ ـ أخرج مسلم بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ليردن على الحوض رجال ممن صاحبني، حتى إذا رأيتهم ورفعوا إلي اختلجوا دوني، فلأقولن: أي رب أصيحابي أصيحابي. فليقالن لي: إنك لا تدري ماذا أحدثوا بعدك»، وفي رواية لمسلم أيضًا: «ألا لا يذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال. أناديهم ألا هلم! فيقال: «إنهم قد بدلوا بعدك. فأقول: سحقًا سحقًا».

قال ابن عبد البر: كل من أحدث في الدين ما لا يرضاه الله فهو من المطرودين عن الحوض وأشدهم من خالف جماعة المسلمين فالخوارج والروافض وأصحاب الأهواء وكذلك الظلمة المسرفون في الجور وطمس الحق والمعلنون بالكبائر فكل هؤلاء يخاف عليهم أن يكونوا ممن عنوا بهذا الخبر» [الزرقاني على الموطأ]

أقوال سلف الأمة

١ - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «عليكم بالاستقامة والأثر، وإياكم والتبدع».

٢ - وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم كل ضلالة».

٣ - وروى الإمام أحمد في الزهد بسنده عن الحسن البصري أنه قال: «اعرفوا المهاجرين بفضلهم، واتبعوا آثارهم وإياكم وما أحدث الناس في دينهم، فإن شر الأمور المحدثات».

٤ - قال أيوب السختياني: ما ازداد صاحب بدعة اجتهادًا إلا ازداد من الله بعدًا.

٥ - قال حسان بن عطية المحاربي: ما أحدث قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سنتهم مثلها، ثم لم يعدها إليهم إلى يوم القيامة.

٦ - قال سفيان الثوري: من جالس صاحب بدعة لم يسلم من إحدى ثلاث:

١) إما أن يكون فتنة لغيره.

٢) وإما أن يقع بقلبه شيء يزل به فيدخله النار.

٣) وإما أن يقول: والله لا أبالي ما تكلموا به وإني واثق بنفسي.

فمن يأمن بغير الله طرفة عين على دينه سلبه إياه.

٧ - وقد تبرأ ابن عمر من القدرية حيث قال لمن سأله عنهم: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم براء مني.

البدعة لغة واصطلاحا:

البدعة في اللغة: اسم هيئة من الابتداع كالرفعة من الارتفاع وهي: كل شيء أحدث على غير مثال سابق، سواء أكان محمودًا أم مذمومًا، وهي مأخوذة من بدع الشيء يبدعه بدعًا إذا أنشأه واخترعه.

وجاء في لسان العرب: بدع الشيء يبدعه بدعًا وابتدعه: أنشأه وبدأه، والبديع والبدع: الشيء يكون أولاً، وفي التنزيل: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ﴾، أي ما كنت أول من أرسل، قد أرسل قبلي رسل كثير، والبدعة: الحدث وما ابتدع في الدين بعد الإكمال، وأبدع وابتدع وتبدّع: أتى ببدعة، قال الله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾، وبدّعه: نسبه إلى البدعة، والبديع: المحدث العجيب، وأبدعت الشيء: اخترعته لا على مثال، والبديع من أسماء الله تعالى لإبداعه الأشياء وإحداثه إياها، وهو البديع الأول قبل كل شيء.

تعريف البدعة اصطلاحا:

ومن التعريفات الكلية الجامعة: ما ذكره الإمام الشاطبي رحمه الله في كتاب الاعتصام حيث بوب لتعريف البدعة بابًا مستقلاً ذكر فيه معناها الاصطلاحي، وشرح التعريف وذكر محترزاته، وقد عرّف البدعة بتعريفين:

أحدهما: على رأي من يقول بعدم دخول الابتداع في العادات والمعاملات، وإنما يخصّه بالعبادات، فقال فيه: «فالبدعة عبارة عن طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية، يُقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه».

الثاني: على رأي من يقول بدخول الابتداع في الأمور العادية، كدخوله في الأمور العبادية فقال فيه: (البدعة طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية، يُقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية). [الاعتصام: ٣/١].

وسيتبين الرأي الراجح في قضية دخول

الابتداع في الأمور العادية أو عدم دخوله، من خلال محترزات التعريف، وبالتالي يتبين التعريف الراجح.

شرح التعريف وبيان محترزاته:

قوله: طريقة: يقصد بها السبيل والسنة، وكل ما رُسم للسلوك عليه أو اتخذ للتعبد به، سواء كان في المسائل العلمية أو المسائل العملية.

قوله: في الدين: تقييد للطريقة المسلوكة بأنها في الدين؛ لأنها فيه تُخترع وإليه تُنسب، وبه يُلصقُها مخترعها، فلو كانت طريقة مخترعة في الدنيا على الخصوص لم تُسم بدعة.

قوله: مخترعة: أي لا أصل لها في الشريعة، ولا تعلق لها بها؛ لأن البدعة تتميز بأنها خارجة عما رسمه الشرع.

وهذا القيد يخرج ما حدث وله أصل في الشرع كتصنيف العلوم الشرعية مثلاً، فإنها وإن لم توجد في الزمان الأول، فأصولها موجودة في الشرع، وهي مستمدة من قاعدة المصالح المرسلة، ولا ينبغي أن تسمى بدعة أصلاً.

قوله: تضاهي الشرعية: أي أن البدعة تشابه الطريقة الشرعية من غير أن تكون كذلك بل هي مضادة لها من أوجه متعددة منها:

-وضع الحدود، وذلك كالناذر للصيام قائمًا لا يقعد، ضاحيًا لا يستظل، والاقتصار من المأكل والملبس على صنف دون صنف.

ومنها التزام الكيفيات والهيئات المعينة، كالذكر بهيئة الاجتماع على صوت واحد، واتخاذ يوم ولادة النبي ﷺ عيدًا، وما أشبه ذلك.

-ومنها التزام العبادات المعينة في أوقات معينة، لم يوجد لها ذلك التعيين في الشريعة، وذلك كالتزام صيام يوم النصف من شعبان، وقيام ليلته، وكون البدعة تضاهي الأمور المشروعة وصف لازم لها، وإلا لكانت من باب الأفعال العادية.

ويبين ذلك، أن صاحب البدعة يخترعها ليضاهي بها السنة، سواء لَبَّسَ بها صاحبها على الناس، أو كانت مما التبست عليه- هو- بالسنة ويؤكد هذا انتصار المبتدع لبدعته بأمور تخيل أنها مشروعة، ولو بدعوى الاقتداء بفلان المعروف منصبه في أهل الخير.

وإلى هذه الحد من التعريف يتفق تعريف من خص البدعة بالدخول على العبادات، مع تعريف من لم يخصها بالعبادات بل جعل العادات داخلة في التعريف.

فقال في التعريف على رأي من خصها بالعبادات: (يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله تعالى).

هذا القصد قيد لإخراج العادات التي لا يقصد بها التعبد من البدع وبيان أن ما ابتدع من الأمور الزائدة على المشروع والمنسوبة للشرع مقصود بها المبالغة في التعبد أو تجديد النشاط إلى العبادة».

وقد تبين بهذا القيد أن البدع لا تدخل في العادات). [الاعتصام (١/ ٤٠، ٤١)].

وقال في التعريف الثاني: الذي لا يختص بالعبادات، بل يُدخل معها العادات (يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية).

وعند شرحه لهذا قال: (ومعناه أن الشريعة إنما جاءت لمصالح العباد في عاجلتهم وآجلتهم، لتأتيهم في الدارين على أكمل وجوهها، فهو الذي يقصده المبتدع ببدعته، فإن تعلقت بالعبادات فإنما أراد بها أن يأتي تعبده على أبلغ ما يكون في زعمه؛ ليفوز بأهم المراتب في الآخرة في ظنه، وإن تعلقت بالعادات فكذلك؛ لأنه إنما وضعها لتأتي أمور دنياه على تمام المصلحة فيها.

وقد رجح الشاطبي هذا التعريف، الذي يقول بدخول البدع في العادات والمعاملات، وهذا الترجيح هو الصحيح الموافق لأدلة الشريعة، والمتفق مع أصولها وقواعدها، والمطابق لمقاصدها. والله أعلم.

قرار إشهار

رقم ١٠٢٦ بتاريخ ١٦ / ٧ / ٢٠٠٣م

تشهد مديرية الشئون الاجتماعية بأنه قد تم إشهار جمعية / أنصار السنة المحمدية بأبو كبير

وذلك طبقا للقانون ٨٤ لسنة ٢٠٠٢ بشأن الجمعيات والمؤسسات الخاصة واللائحة التنفيذية لذلك القانون

تعلن مجلة التوحيد

عن وجود مجلدات مجلة التوحيد للبيع وقد تقرر أن يكون سعر المجلد لأى سنة داخل مصر للأفراد والهيئات والمؤسسات ودور النشر ١٨ جنيهاً مصرياً . وفروع أنصار السنة ١٥ جنيهاً مصرياً . ويتم البيع للأفراد خارج مصر بسعر ١٠ دولارات أمريكية ـ والهيئات والمؤسسات ودور النشر ٨ دولارات أمريكية .

مفاجأة كبرى

- لأول مرة نقدم للقارئ كرتونة كاملة تحتوى على ٣٠ مجلداً من مجلة التوحيد عن ٣٠ سنة كاملة .
- ٥٠٠ جنيه للكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر .
- ١٢٥ دولاراً لمن يطلبها خارج مصر بخلاف سعر الشحن .
- ٧٥ دولاراً للشحن .

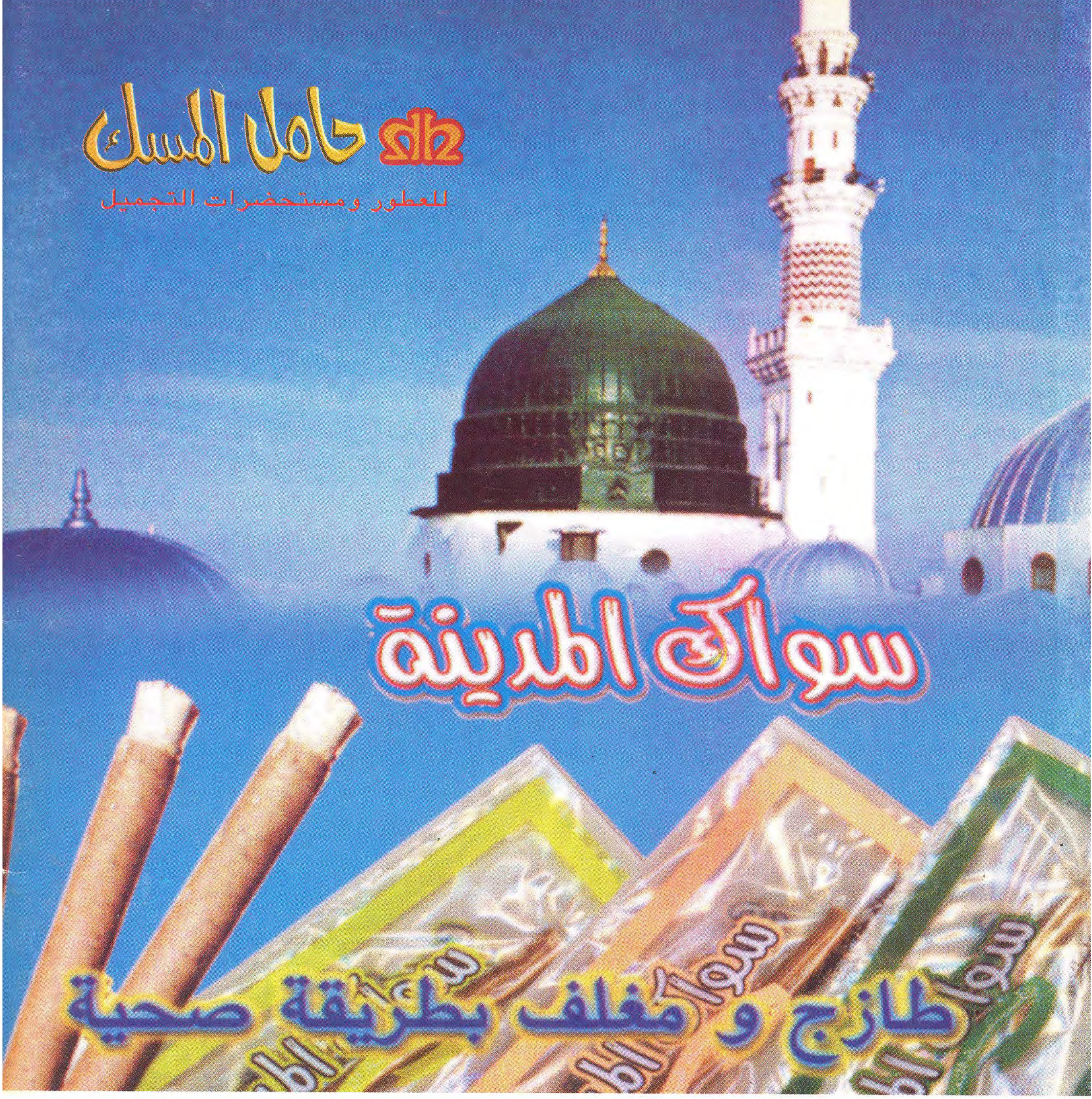

حامل المسك لمستحضرات التجميل

المملكة العربية السعودية
جدة المنطقة الصناعية المرحلة الرابعة
ت: ٠٢/٦٣٥٥١٤٤ فاكس: ٠٢/٦٣٥٥٧٥٧

جمهورية مصر العربية
ت: ٠٢/٣١٢٦٠٣٧

توزيع آبو الفدا
لملابس المحجبات السوق التجارى بمبنى جراج العتبة القاهرة
ت: ٥٨٨٥٣٩٣/٥٩٠٧٦٥٧

كفر الشيخ دار صلاح الدين برج الشرق للتامين
ت: ٠٤٧/٢٣٦٢٦٨